الرومان

والبحر الأحمر

للدكتور سيد أحمد علي الناصري
الأستاذ المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

« ليس هناك أعداء دائمون ، ولا أصدقاء دائمون ، ولكن هناك مصالح دائمة » ، هذا القول المأثور المنسوب الى ونستون تشرشل ينطبق الى حد كبير على تاريخ العلاقات بين الدول الواقعة حول البحر الأحمر من ناحية ، وبين علاقتها بالرومان من ناحية أخرى ، لأننا نجد هذه لعلاقات تتغير نتيجة لتغير موازين القوى السياسية والبحرية والاقتصادية ، اي انه لا توجد علاقات ثابتة بين الأمم ولا قوة دائمة الى الأبد .

فلو استعرضنا التغيرات السياسية في حوض البحر الأحمر منذ تطلع الرومان الى الاستيلاء عليه حتى قيام السيادة الاسلامية على جانبيه ، نجد عدة تغيرات متشابكة بدايتها تدهور نفوذ الدولة البطلمية في البحر الأحمر وتزايد نفوذ الأنباط على حسابها ، ثم احتدام الصراع على البحر الأحمر بين الأنباط والبطالمة ، ثم قيام الدولة السبئية ـ الحميرية في اليمن كمنافس جديد وتحالفها مع الأنباط ضد البطالمة ، بينما تحالف البطالمة مع دولة العرب اللحيانيين وبدينة العلا الحجازية ، ثم النشاط المحموم للبطالمة في البحر الأحمر بعد طردهم من سوريا عام ٢٠٠ ق.م لتعويض ما فقدوه ، وتركيزهم على الساحل الافريقي للبحر الأحمر الذي اعتبروه امتدادا لسواحل مصر على هذا البحر ثم يلي ذلك سقوط حكم الأسرة البطلمية ودخول مصر في حوزة الرومان عام ٣٠ ق.م حيث وصل الرومان الى مياه البحر الأحمر لأول مرة ، وبداوا يدخلون ميدان السباق فيه بهدف فرض هيبة الامبراطورية السياسية والاقتصادية وتطبيق السلام الروماني بالسلم والحرب ، ثم بدأت روما تضع حدا للقوى السياسية المتصارعة على البحر الأحمر ، وبدأت في اخضاعها لسلطانها واحدة تلو الأخرى . وظلت السيادة الرومانية لا تنافس حتى مطلع القرن الثالث الميلادي عندما بدأت الامبراطورية تضعف من الداخل . بينما حدثت تطورات سياسية في البحر الأحمر مثل ظهور دولة اكسوم كمنافس جديد وظهور الدولة الساسانية في فارس والتي دعت الى طرد الرومان من الشرق كله ، ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شطرين بيزنطة في الشرق وروما في الغرب ، حاولت بيزنطة احياء النفوذ الروماني في البحر الأحمر على أساس استخدام نفوذها كمركز للعقيدة المسيحية ، وجعلت دولة اكسوم المسيحية قاعدتها بينما انتشر في اليمن والجنوب العربي حركة تهويد بعد هجرة عدد كبير من اليهود من فلسطين الى جنوب الجزيرة والى الحجاز ، وتعاطف الفرس مع اليمنيين والعرب المتهودين ردا على تعاطف الأكسوميين مع بيزنطة ، ومن ثم تحول الصراع الدولي بين القوتين الكبيرتين فارس وبيزنطة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين الى صراع ديني بين اليهودية والمسيحية ، الى أن وضع الاسلام لذلك حدا وبرزت قوته لتفرض نفوذها على البحر الأحمر كله .

تلك نبذة تاريخية منذ مجيء الرومان الى مصر ولنبدأ الآن في معالجتها بشيء من التفصيل والتحليل .

بدأ اقتراب الرومان من البحر الأحمر تدريجيا بعد تدمير قرطاجة

وكورنثا عام ١٤٦ ق٠م وتحقيق سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط بعدها بدأت روما تتعامل مع الممالك الهللينستية وتتطلع لنشر نفوذها في دويلات شرق البحر المتوسط خاصة في مصر همزة الوصل بين البحرين ٠

غير أنه من العدل أن نقول أنه لم يكن للرومان في البداية مخطط سياسي منظم من أجل السيطرة على البحر الأحمر ، وانما تعرفهم على أنماط جديدة للحياة الشرقية هو الذي لفت أنظارهم اليه ، وقد بدأ هذا التعرف أثناء حملة لوكوللوس في آسيا الصغرى في القرن الأخير ق٠م ، ثم حروب سوللا في الشرق ووصول بومبي الى رسوريا وضمها للرومان ، ثم التغلغل التدريجي للنفوذ الروماني في مصر حيث كانت تجارة البحر الأحمر تمر عبرها ، كل ذلك أدى الى تعرف الرومان على بعض طرق الحياة الهللينستية والشرقية التي أعجبوا بها خاصة بعد تزايد موجة الرخاء في روما نتيجة للغنائم والضرائب التي دفعتها الشعوب الشرقية المغلوبة ، ومن ثم أدى ذلك الى تغيير كامل في حياة الرومان ، اذ بدأت البساطة القديمة تختفي ، وحل محلها تسابق على سلع الشرق وكمالياته وترفه ، وتطورت في أذواقهم سواء في الطعام او الملبس ، أو حتى في الشعر والأدب ٠ وبدأت التوابل الشرقية التي كانت تعتبر قبل ذلك شيئا مقدسا باهظ التكاليف تصل الى الرومان عبر أسواق الاسكندرية ، وأصبح الطعام الروماني يعتمد على هذه التوابل لدرجة أنه لأول مرة يضع متخصص مؤلفا عن فن الطهي عند الرومان وهو مؤلف أبيكيوس Apicius الشهير والذي أصبح عماد المطابخ الرومانية (١) حتى القرن الثالث الميلادي (٢) ، وكنتيجة أيضا لوصول العطارة الشرقية ازدهرت مدرسة العقاقير والطب وبرز أطباء مشهورون يضعون التذاكر العلاجية التي تقوم علي الأعشاب المستوردة من الشرق ـ كما انعكس ذلك حتى على الأدب اللاتيني نفسه اذ نجد في مسرحيات بلاوتوس (Plautus) وترنتيوس تلميحات الى أنواع البهارات والتوابل بأسمائها الشرقية الغريبة ٠

لم يكن الرومان بالشعب المغامر المغرم بالخيال وحب الاستكشاف ، بل كانوا شعبا واقعيا يتميز بالعبقرية العسكرية والقدرة الفائقة على خلق ادارة علمية منظمة وقوانين معقدة هي التي خلقت الامبراطورية وحققت السلام الروماني سواء في ايطاليا أو في الشرق الأوسط ، وفي ظلال هذا السلام ترعرعت التجارة العالمية ، ولقد ساهم أباطرة الرومان بمجهودات كبيرة من أجل خلق هيبة سياسية ، وثقة تعاملية في الامبراطورية خاصة عن طريق

عملتها كما حرصت روما على اظهار حسن النوايا مع الأمم الأجنبية مادامت صديقة وحليفة ، وبفضل حكمة وذكاء واخلاص أباطرتهم ، ونشاط تجارهم وحرصهم على سمعة بلادهم وتعاملهم الأمين مع غيرهم من الشعوب ، نجح الرومان في بناء هيبة لامبراطوريتهم في الشرق ، وحققت لهم الثقة والاحترام ظلت قوية حتى القرن الثالث الميلادي .

وبفتح أغسطس لمصر وبقيام السلام الروماني الذي وضع أساسه أغسطس ساد بين الرومان ميل شديد الى الكسب المادي بلا حدود (٥) مستغلين النظام السياسي الجديد ، وكان الدافع لتنشيط التجارة في البحر الأحمر عقب الاستيلاء على مصر دافعا ماديا بحتا ، وبعكس الحال أيام البطالمة حيث كان للرومانسية والخيال العلمي وحب المعرفة والاكتشاف دور كبير في ارتياد مجاهل ذلك البحر ، ولعل الذي ساعد على ذلك هو ازدياد تدفق الثراء على روما بعد نهب خزائن الملكة كليوباترا ، فضلا عن استغلال مناجم الفضة والذهب في أسبانيا مما خلق عند الرومان روحا جديدة تتمثل في الاقبال على الترف والميل الى الاستهلاك الكمالي للسلع الشرقية مثل العطور والأحجار الكريمة والحرير والتوابل .

وبالرغم من هذا لم تكن الامبراطورية الرومانية تميل الى احتكار التجارة لنفسها كما فعلت مصر في عهد ملوك البطالمة ، بل آثروا ترك المشروعات حرة لمن يريد ، ولكنهم كانوا يدعمون ويحمون التجارة خاصة الشرقية سواء بالنفوذ والسلام الروماني أو برأس المال ، اذ كانت الدولة ممثلة في القانون الروماني تضمن معاملات الروماني أو المتمتع بالجنسية الرومانية ، وهذا أعطى الثقة للتجار الشرقيين والسكندريين أن يشركوا معهم رءوس أموال رومانية ، وكانت السفينة التجارية عادة ملكا لصاحب رأس المال الروماني Negotiator الذي كان يؤجرها أو يوكل أمرها الى تاجر سكندري أو شرقي Mercator عادة له خبرة بتجارة الشرق والطريق البحري الى الهند ، أما طاقم بحارة السفينة فكانوا عادة من اغريق مصر المتمصرين الذين يعرفون موانيء مصر جيدا (٦) . وفي ظل هذه الظروف الجديدة (٧) تفتحت روح العمل والاستكشاف البحري من أجل الكسب ، وشهد البحر الأحمر نشاطا تجاريا محموما ، وعلى حد قول سينيكا « أن الرغبة في الكسب قد دفعت الانسان الى الترحال الى كل أرض وجعلته

يجوب كل بحر بحثا عن الكسب » (٨) ، لأن سطوة الامبراطورية الرومانية كما يقول بليني الأكبر « قد حققت للعالم الوحدة ، كما يجب أن يتفق الجميع أن الحياة الانسانية قد استفادت كثيرا من جراء الاتصال بالعالم الذي أصبح سهلا وكذلك من الاستمتاع بثمار السلام » (٩) ولقد نقل لنا سويتونيوس حادثة طريفة عن ذلك وهي عندما تصادف أن تقابلت سفينة تابعة لتجار من الاسكندرية مع يخت الامبراطور اغسطس خارج ميناء بويتولي في صيف عام ١٤م أي قبل موت الامبراطور بقليل وعندما شاهد البحارة السكندريون الامبراطور اغسطس حتى أوقدوا البخور وخروا ساجدين هاتفين : يا من خلاله نحيا ومن خلاله نبحر ومن خلاله نستمتع بالحرية والرخاء !! » (١٠) هذه العبارة تلخص فضل الامبراطور اغسطس في خلق عهد جديد للتجارة في البحرين الأبيض والأحمر ·

هكذا بقيام الامبراطورية وباستيلائها على مصر ورثت روما مشروعات الفراعنة والبطالمة في البحر الأحمر وأصبح للامبراطور سياسة محدودة مع دول البحر الأحمر ، فقد رأى اغسطس ضرورة تحويل طريق التجارة في البحر الأحمر الى صالح الموانيء المصرية مثل بيرينيكي (الهراس) ، وميوس هورموس (أبو شعر القبلي) ، وأسينوي (السويس) ووجدت الامبراطورية نفسها وهي تدخل بثقل مجال الصراع من أجل تحقيق سيادتها الكاملة على البحر الأحمر · فمنذ اللحظة الأولى بعد فتح مصر بدأ عهد جديد في تاريخ البحر الأحمر والتجارة مع الهند ، اذ فرض السلام الروماني في البحر الأحمر ، وشرعت الامبراطورية في تطهير ذلك البحر من القراصنة الذين استفحل خطرهم منذ تدهور السلطة البطلمية ، وعندما كتب أغسطس مفاخرا في سجل أعماله « لقد طهرت البحر من القراصنة » Mare Pacavi a Praedonibus (١١) فانه كان يعني البحرين الأبيض والأحمر · ولكي يحقق ذلك وجد أغسطس أنه من المحتم عليه أن يحقق السيادة البحرية وأن يضع أسطولا من السفن التجارية oiapia بل وأن يمتلك قواعد بحرية ثابتة تكون في خدمة الخط الملاحي بين مصر والهند ·

كانت استراتيجية أوكتافيوس أغسطس في البحر الأحمر تقوم على تشديد القبضة على مصر لأنها هي همزة الوصل بين البحرين الأبيض والأحمر ، فضلا عن أن مصر تمتلك مساحات شاسعة من سواحل البحر الأحمر ، ولقد سعى فراعنتها منذ الأسرة الخامسة الى ارتياد البحر الأحمر (١٢) خاصة أن

كان لمصر علاقات قوية مع الساحل الافريقي ، ولهذا شقوا طرقا في الصحراء الشرقية تربط ما بين الموانيء المصرية على البحر الأحمر وبين موانيء النيل خاصة ميناء قفط الشهير ، بل حاول أحد فراعنة الأسرة السادسة والعشرين واسمه نيخو (نخاو) ٦١٠ ــ ٥٩٥ ق٠م أن يشق قناة تربط بين النيل وخليج السويس تبدأ من تل بسطة (Boubastis) محافظة الشرقية مارة بمدينة بيثوم القديمة (تل المسخوطة) وعبر وادي الطميلات فالبحيرات المرة فخليج السويس (١٣) ، ولقد ذكر هيرودوت أن نخاو هجر المشروع بناء على نبوءة بعد أن فقد ١٢٠ر٠٠٠ عامل ، وعندما احتل الفرس مصر عام ٥٢٥ ق٠م قام الملك دارا باكمال شق القناة التي بدأها نخاو ولم يخرج عما رسمه ، الفرعون المصري (١٤) ، ولما قامت أسرة البطالمة في مصر أدرك بطليموس الثاني أهمية هذه القناة (١٥) فأعاد حفرها كما نفهم من لوحة بيثوم الشهيرة والتي ترجع الى العام السادس عشر من حكمه ٠ وقد كان من الطبيعي أن يعيد الامبراطور أغسطس تطهير هذه القناة بعد أن أهملت في أواخر عصر البطالمة حتى يعطي فرصة لتجارة البحر الأحمر أن تجد طريقها الى الاسكندرية عبر النيل ، غير أن استخدام هذه القناة في العصر الروماني أصبح أقل بكثير من استخدام طرق القوافل في الصحراء الشرقية خاصة طريق ميوس هورموس ــ قفط ٠

ولهذا اعتنى الامبراطور أغسطس بمدينة « قفط » لأنها كانت مستودع تجميع وتوزيع البضائع الآتية من ميناء ميوس هورموس وميناء بيرينيكي ، فأعاد بناءها ، وطور من مينائها ، كذلك اهتم أغسطس بمنطقة ميناء بيرينيكي لوجود عدد من مناجم الذهب ومحاجر الرخام بالقرب منها ، وأمر بأن توضع تحت امرة ضابط يحمل لقب قائد بيرينيكي او قائد جبل بيرينيكي Praefectus montis Berenicidis أو قائد الحاميات وجبل بيرينيكي Praefectus Praesidiorum et montis Berenicis وكان هذا القائد يتولى الى جانب ادارة المنطقة والاشراف على المناجم والمحاجر بمساعدة مشرف Procurator ــ يتولى قيادة الحاميات التي وضعت لحراسة هذه المناجم ولتأمين طريق القوافل بين البحر الأحمر والنيل ، والعناية ببناء صهاريج المياه وحفر الآبار على جانبيه (١٦) ٠

وكما نرى بدأ أغسطس سياسته ازاء البحر الأحمر باستغلال موقع

مصر الاستراتيجي كشريك كبير بين البلدان التي تقع على سواحله ، وكان هدفه هو جني أكبر دخل مادي للامبراطورية من الضرائب والمكوس التي فرضها على تجارة المرور من الشرق الى الغرب عبر الاسكندرية التي أصبحت مستودع التوزيع الأول لبضائع الشرق في البحر المتوسط حيث ازدحمت أسواقها بالبضائع والتوابع والسلع الشرقية مثل الحرير والقطن والعاج والجلود والعطارة والعطور واللؤلؤ والماس بل والعبيد الافريقيين ، ومن أشهر التوابل الشرقية التي كان عليها طلب شديد في الغرب الفلفل الأسود Piper والقرفة Cinnamon والحنظل Myrrh والزنجبيل Zinngebri والذي كان يصدر الى روما ـ كما يقول ديوسكوريديس ـ في جرار خاصة (١٧) وكذلك الكندر والطيب والبخور والقواقع الحمراء المستخدمة في الصناعة ، لقد راجت التجارة في الاسكندرية بعد الفتح الروماني رواجا منقطع النظير ، وكان هذا يعني أيضا دخلا وفيرا للامبراطورية من ضرائب المكوس والجمارك encyclion التي كانت تصل أحيانا الى ٢٠٪ ، كما أن ازدهار الحال لسكان الاسكندرية قصد به اشعارهم بأن حكم الرومان أسعد حالا وأكفأ مقدرة من حكم ملوكهم السابقين الضعفاء ·

ولقد قام بترونيوس ثالث الولاة في مصر بالقيام باجراءات أمنية هامة ضد النوبيين في الجنوب ، وكان هدفه من ذلك اجبارهم على عدم ازعاج الحكم الروماني لمصر وابعادهم عن التعرض لتجارة البحر الأحمر خاصة في المنطقة الساحلية الموازية لبلاد النوبة ·

ولقد كشف المسح الأثري لصحراء مصر الشرقية عن مدى الاهتمام الكبير الذي أبداه الرومان لهذه الصحراء الغنية بمحاجرها ومعادنها ، ولقد لاحظ الأثريون أن الطرق الرومانية في الصحراء الشرقية هي نفس الطرق التي بدأها الفراعنة وطورها البطالمة (١٨) ، وهي عبارة عن مدقات صغيرة غير معبدة ، وعلى مسافات معينة أقيمت علامات لتحديد المسافات ومحطات لمياه الشرب hydreumata وهي ذات نظام واحد عبارة عن بناء مربع له بوابة يعلوها برجان للحراسة (١٩) ، ولقد أثبتت الأبحاث الأثرية أن طريق ميوس هورموس ـ قفط كان من أهم طرق نقل بضاعة البحر الأحمر خلال عصر الرومان ، بل كان لهذا الطريق طريق معبد صغير يربط بينه وبين محاجر جبل كلاوديوس ، حيث كانت العربات تحمل الرخام والأحجار

المنحوتة عبر هذا الطريق المعبد الى الطريق الغير معبد والذي كانت الجمال أهم وسائل النقل لا تحتاج الى طريق معبد ، ويتراوح عرض ذلك الطريق ما بين ١٥ و ٣٥ ياردة ، وقد قدر استرابون طوله بمسيرة ست أو سبعة أيام (٢٠) ، كما نوه بليني بصهاريج المياه ومحطات الاستراحة للتجارة ونقاط الحراسة (٢١) ، بل عثر على أطلال معابد ترجع لعصور البطالمة والرومان مثل معبد سرابيس وايزيس مما يدل على أن هذه المنطقة كانت عامرة بالحركة والتجارة (٢٢) · وكانت المحطة التجارية في ميوس هورموس ذات بناء محصن بأبراج مثل القلاع تماما وبجوارها معبد صغير ، وهذا البناء يرجع في الأصل الى عصر البطالمة ، لكن حجمه زاد في عصر الرومان · كما كان هناك طريق يبدأ من ميناء برينيكي ويتجه الى قفط ، وقبل دخول قفط كان هذا الطريق يلتقي بالطريق القادم من ميوس هورموس ، ويرجع تأسيس ميناء برينيكي الى عصر بطليموس الثاني وهو يقع على مسيرة أحد عشر يوما من قفط ، وكانت برينيكي الميناء الرئيسي أيام البطالمة لكن الرومان أدركوا بعدها النسبي عن النيل ووعورة الكثبان الرملية عند مداخلها وكثرة هبوب العواصف الرملية عليها ، ففضلوا طريق ميوس هورموس قفط والذي قدر طوله بمسيرة سبعة أيام · وبالرغم من هذا كان ميناء برينيكي وميوس هورموس من أهم الموانيء التي استخدمت في الفترة ما بين ٦ ــ ٦٢م (٢٣) · ونظرا لقلة الاشارة في العصر الروماني الى مينائي « ليوكوس ليمن » وفيلوتيراس التابعين للادارة العسكرية في طيبة فيرجح أن استخدامهما قد قل بدرجة كبيرة بالرغم من أن مناجم الذهب بالقرب من فيلوتيراس لم تتوقف منذ عصر أغسطس حتى عصر انطونينوس · وكان هناك طريق يربط بين فيلوتيراس ومدينة كاينوبوليس Kainopolis (قنا) لكنه لم يكن بأهمية كبيرة ، كذلك أهمل ميناء ارسينوي بالقرب من خليج السويس لأن الرومان اكتشفوا نتيجة لتقدم علم الملاحة البحرية والجغرافيا بفضل علماء الاسكندرية أنه غير موات للملاحة ·

ونلاحظ أن الرومان لم يقيموا اي موانيء جديدة على الساحل المصري على البحر الأحمر لأنهم وجدوا أن مابناه البطالمة من موانيء يزيد عن الحد المطلوب وأنهم فضلوا التركيز على مينائي ميوس هورموس وبرينيكي منعا للتهرب من دفع الجمارك (Portoria) ولهذا ركزوا جهودهم على تطوير وتحسين هذه الطرق وتأمينها تحت ادارة ورقابة حازمة وتيسير حركة التجارة وتقديم كافة التسهيلات للقوافل التي تحمل عاج أفريقيا وتوابل ولبان بلاد العرب ولؤلؤ وحرير وقطن الهند وسيلان ·

وفي أعقاب فتح مصر قام ايليوس جاللوس ثاني ولاة مصر ببناء أسطول في البحر الأحمر من نوع جديد من السفن الحربية أطلق عليه استرابون (٢٤) اسم Diorote والذي يعتقد المتخصصون في أنواع السفن القديمة انه كان تطويرا للبوارج البطلمية الحربية ذات الأربعة طوابق (Quadriremes) التي بناها بطليموس الثاني على أحدث ماانتجت ترسانات العصر الهللينستي (٢٥) ، غير أن ظهور الأسطول الروماني الحربي في مياه البحر الأحمر في أعقاب فتح مصر كان بمثابة اعلان قيام سيادة روما على البحر الأحمر وعلى الدويلات التجارية الواقعة على جانبيه واعلان انتهاء عصور الصراع بين هذه الدويلات من أجل ملء الفراغ الذي تركه البطالمة في ذلك الممر المائي الحيوي ، كما أن الأسطول الروماني حرص على تعقب القراصنة الذين انتشر خطرهم في البحر الأحمر في أواخر عصر البطالمة حتى أن الأسطول البطلمي كان يسير لحماية السفن التجارية حتى باب المندب ، بل أن كل سفينة كانت تحتفظ بقوة مقاتلة للدفاع عنها ، وتتحاشى السير قرب السواحل الشرقية للبحر الأحمر خوفا من أوكار القراصنة ، لكن ظهور الرومان في البحر الأحمر أعاد للبحر الأحمر شيئا من السلام ولهذا استرخت السفن في اجراءاتها الأمنية التي كانت تتخذها قبل ذلك وهذا خفض من تكاليف السلع الشرقية في أسواق الغرب ·

واذا ما تركنا السواحل المصرية على البحر الأحمر نجد بعض الموانيء الهامة التي لعبت دورا كبيرا في التجارة مثل ميناء أدوليس (ميناء زولا قرب مصوع) وهو الميناء الرئيسي لدولة أكسوم (٢٦) التي كانت لاتزال ناشئة في ذلك الوقت وكان هذا الميناء مركزا لتجارة الجلود والقواقع الحمراء المستخدمة في الصباغة ، وكذلك العبيد وعاج وحيد القرن وعاج الأفيال ، لأن عدول كانت على بعد مسيرة ثلاثة أيام من كولوي Koloe (Kohaito) سوق العاج القديمة في افريقيا ، لكنها تبعد عن العاصمة اكسوم (بالقرب من عطبرة) حوالي ثمانية أيام ، وبالرغم من أن الدولة الاكسومية الناشئة كانت تفرض مكوسا عالية على التجارة ، الا أنها لم تحاول أبدا تحدي روما أو تعطيل مصالحها ، بل حاولت اظهار حسن النوايا بعلاقتها التجارية مع مصر الرومانية حيث كانت تستورد القماش المصري والزجاج والزيوت والنبيذ والأسلحة والأدوات المعدنية (٢٨)، ومن الواضح أن تفاهما معينا كان قائما بين الامبراطورية الرومانية واكسوم بدليل أن ميناء عدول قد ورد ذكره في دليل الملاحة في البحر الأحمر كميناء معترف به ·

واذا ما سرنا جنوبا بحذاء الساحل الصومالي نجد عدة موانيء لعبت دورها في حركة النشاط التجاري في البحر الأحمر في عصر الرومان مثل ميناء أوبوني opone في بلاد الصومال والذي كان يصدر القواقع الحمراء وأجود أنواع الرقيق (٢٩) والقرفة والحنظل واللبان خاصة من ميناء قريب آخر هو ميناء موندوس Mundus

وتحت مظلة السلام الروماني وصل التجار جنوبا حتى سواحل أوغندا حيث كان يقبع ميناء رابتا الشهير Rhapta وهو آخر ميناء عرفه دليل الملاحة لأنه بعده « يبدأ المحيط الذي لا يعرف مداه أحد » على حد قول الدليل (٣٠) ، وكان ميناء رابتا يمثل محطة الوصول الأولى للسفن القادمة عبر المحيط الهندي ومنه تتجه شمالا لتدخل البحر الأحمر حتى ميوس هورموس ، وكانت هذه المنطقة من الساحل الافريقي تقع تحت النفوذ المباشر للدولة السبئية ـ الحميرية في الجنوب العربي حيث هاجر عدد كبير من اليمنيين ـ ربما بسبب الاضطرابات السياسية الداخلية (٣١) أو تحت ضغط البارثين في شمال شبه الجزيرة العربية وحضرموت في القرن الأول الميلادي واختلطوا بالافريقيين ، غير أن الرومان لم يسمحوا للدولة السبئية ـ الحميرية باقامة أي وجود أو سيادة مباشرة لها على الساحل الافريقي الموجه لمضايق البحر الأحمر حتى لا يعطي ذلك فرصة لملوك الجنوب العربي بعرقلة النفوذ البحري الروماني (٣٢) ، أما فيما عدا ذلك لم يكن للوجود السبئي ـ الحميري أي تأثير سياسي على الملاحة في البحر الأحمر . بالرغم من أن الرومان لم يتدخلوا في تجارتهم الافريقية ، اذ ذكر دليل الملاحة ان خطأ ملاحيا دائما كان يصل بين ميناء موزا في سبأ وميناء رابتا في أوغندا (٣٣) .

أما بخصوص سياسة الرومان مع الدولة الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر فقد تطلبت موقفا ايجابيا ، اذ كان هناك قوتان واحدة في شمال شرق البحر الأحمر وهم الأنباط والأخرى في الجنوب الغربي منه وهو السبئيون ـ الحميريون . وكانت هاتان الدولتان تستمدان قوتهما ووجودهما من التجارة خاصة دولة العرب الأنباط لأنها كانت قليلة السكان وبلادهم قليلة الأهمية الا من طريق القوافل التي تمر بها (٣٤) . ويرجع الأنباط في الأصل الى القبائل العربية الرحل التي تسللت في مطلع القرن السادس ق.م . من هضبة شرق الأردن واحتلت منطقة نبطية الصخرية الواقعة في الجنوب الشرقي من سوريا حيث كان يعيش فيها قبل ذلك الأدوميون

Idumeans وفي عام ٣١٢ ق٠م انتزعوا منهم عاصمتهم « سلع » أي « الصخرة » وهي التي ترجمت الى الاغريقية باسم Petra (أي الصخرة) ، وقد عرفت عند العرب باسم « الرقيم » ، وهي منطقة وادي موسى الحالية في الأردن ، وتقع البطراء فوق هضبة صخرية يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، ولاتزال آثارها المنحوتة في الصخر تشهد بالروعة والجمال ٠ على أي حال منذ أواخر القرن الرابع ق٠م بدأ الأنباط يتوسعون حول « البطراء » التي أصبحت مدينة حيوية ومركز تجميع وخلط وتوزيع وتسعير للبضائع القادمة من جرها والخليج وميناء أبو لوجوس عند مصب الفرات عبر طريق القوافل المتجه الى البحر المتوسط كما كانت ملتقى لطريق القوافل الجنوبي القادم من سبأ وساحل البحر الأحمر ، وكانت قوافل الجمال تقطع هذا الطريق وهي تنقل البضائع حتى أن استرابون شبه هذه القوافل (٣٥) ، من كثرتها بالجيوش ٠ ولهذا كانت البطراء مقرا لعدد كبير من الأجانب (٣٦) ٠ وقد ذكر ديود وروس الصقلي أن الأنباط كانوا أقوياء ففي عام ٣١٢ ق٠م نجحوا في صد أنتيجونوس أحد المتصارعين على عرش الاسكندر ٠ ومنعوه مرتين من احتلال البطراء ٠

ولما قامت الدولة البطلمية في مصر على أشلاء امبراطورية الاسكندر كان الأنباط من أشد المنافسين لهم في السيطرة التجارية على البحر الأحمر وقد بدا هذا العداء واضحا منذ عصر بطليموس فيلادلفوس عندما شرع في احياء السيادة المصرية القديمة على البحر الأحمر ، وأرسل أسطولا من البوارج الحديثة ذات الأربعة طوابق (٣٧)
(tetrerika skapha) quadrirmes
والسفن الصغيرة trieremiolia حاصرت سفن الأنباط ودمرتها في معركة بحرية ساحقة ربما في عام ٢٧٨ ـ ٢٧٧ ق٠م ، وقد زاد شكوك الأنباط عندما شرع بطليموس الثاني في ارسال بعثات استكشافية لسواحل البحر الأحمر الشرقية لاختيار مواقع لبناء موانيء ومستوطنات جديدة ، ووصل أحد المستكشفين واسمه أرسطون الى منطقة خليج العقبة (٣٩) ٠ ربما ليختار مكانا لبناء ميناء يلغي أهمية ميناء ايلانا Aelana النبطي عند خليج العقبة ، ولقد أثار هذا التصرف من جانب بطليموس الثاني شكوك الأنباط الذين كانوا يحتكرون وينفردون بالتجارة بين موانيء سبأ في اليمن ـ حيث محطة وصول البضائع من الهند ـ وبين ميناء ايلانا ، بل كان ساحل الحجاز كله مليء بالمحطات التجارية وقد ذكر استرابون أن رحلة القوافل من معين Minaea في اليمن حتى ميناء ايلانا كانت تستغرق مسيرة سبعين يوما (٤٠) ، ولهذا السبب كان الأنباط يخافون من وجود حكم

قوي في مصر ويفضلون بقاءها ضعيفة · وجدير بالذكر أيضا أن بطليموس الثاني كان أول من أقام مستوطنات على الساحل الشرقي للبحر عندما دعى سكان ميليتوس – التي كانت جزءا من امبراطوريته وقتذاك – لبناء مستوطنة لهم ، وبالفعل أقاموا ميناء أمبيلوني Ampelone الذي يعتقد « تارن » أنه كان يقع في شمال الحجاز بالقرب من ميناء جدة الحالي ، حيث يسهل الوصول الى حليفتهم ديدان (العلا) برا والى ميناء ميوس هورموس بحرا · ومنذ حملة بطليموس الثاني بدأ نفوذ الأنباط ينحسر سواء من الناحية الاقتصادية أو العسكرية أمام المد البطلمي ، ولهذا لم ينس الأنباط أبدا ذلك ، ولهذا نجدهم ينضمون الى ملوك السليوكيين في حروبهم ضد البطالمة حول جوف سوريا ، ولقد شجع السليوكيون حلفاءهم الأنباط لكي يقوموا بمقاومة نفوذ البطالمة في البحر الأحمر نيابة عنهم ، وكرد على تحالف السليوكيين مع الأنباط شرع بطليموس الثاني في اقامة تحالفات مع مدينة ديدان (العلا) والعرب اللحيانيين الذين كانوا يربطهم صلات ثقافية وحضارية قديمة مع البطالمة (٤٢) وصلت الى قمتها مابين عام ٢٨٠ – ٢٠٠ ق·م · وكانت ديدان والعرب اللحيانيون يجدون في الأسطول البطلمي حماية لهم من التوسع النبطي ·

ولقد ظل ميزان القوى في صالح مصر حتى نجح السلوكيون في هزيمة البطالمة وطردهم من سوريا عام ١٩٧ ق·م · وبدأ الضعف والتحلل يدبان في أوصال الدولة البطلمية ، وبالتالي بدأوا يفقدون اهتمامهم بالساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب وبدأوا يركزون على الساحل الافريقي (٤٣) ، ونتيجة للانحسار البطلمي بدأ النبطيون يتوسعون على طول الساحل الشرقي ، واستوعبوا القبائل العربية التي كانت تسكن ساحل الحجاز ، كما استولى الأنباط على « الحجر » (مدائن صالح) وجعلوها قاعدة للانطلاق والتوسع ، وبالرغم من هذا تصدى اللحيانيون بمساعدة البطالمة للتوسع النبطي والذي بدأ على يد ملكهم القوي الحارث الأول عام ١٦٩ ق·م ، وبلغ أشده عندما تولى أريطاس الثالث العرش (٨٧ – ٦٢ ق·م) ، ويبدو أن الأنباط وصلوا الى ميناء أمبيلوني بالفعل وخربوه وأعادوا بناءه أو بنوا بجواره ميناء جديدا لهم أسموه « ليوكي كومي » (الحوراء) أي القرية البيضاء ، ثم ربطوا بين مينائهم الجديد وبين مدينة يثرب التجارية بطريق قوافل وبذلك حولوا التجارة عن مدينة ديدان حليفة البطالمة وكان ذلك ضربة اقتصادية كبرى للنفوذ البطلمي في البحر الأحمر والذي تقلص تماما ·

ولم تتوقف سياسة الأنباط عند هذا الحد بل سعوا الى اسقاط الحكم البطلمي ذاته بالتدخل في الصراعات الأسرية حول العرش ، وليس من المستبعد أن يكون الأنباط قد اشتركوا مع جابينيوس والى سوريا الروماني في اعادة بطليموس الزمار الى عرش الاسكندرية رغم أنف أهلها ، ثم نجد الأنباط يتدخلون الى جانب كليوباترا السابعة ضد أخيها . ومن الواضح أن الأنباط قد أدركوا نفوذ الرومان المتزايد في مصر منذ منتصف القرن الثاني ق.م وأدركوا طمع الرومان في الاستيلاء عليها يوما ما لأنها كانت مصدرا هاما للقمح الذي لا غنى عنه لاطعام شعبهم ، ومن ثم لجأ الأنباط – مثلما فعل اليهود – الى سياسة جديدة وهي اقامة جسور من الصداقة مع الرومان وتحريضهم على القدوم الى الشرق الأوسط ، ولقد بدأت الصداقة الرومانية – النبطية في عهد أريطاس الثالث (الحارث الثالث ٨٧ – ٦٢ ق.م) والذي نجح في انتزاع سوريا الحالية من أيدي ملوك السليوكيين الضعفاء ، والذي في عهده ظهرت أول عملة لدولة الأنباط (٤٤) ، والذي في عهده أيضا فتح القائد الروماني بومبي سوريا ، وليس من المستبعد أن يكون ذلك قد تم بمساعدته ، وعندما حوصر يوليوس قيصر في الاسكندرية عام ٤٧ ق.م وجه الدكتاتور الروماني ندا الى ملك الأنباط الملك مالخوس Malchos لتقديم العون اليه (٤٥) ، فارسل اليه قوة من الفرسان هي التي ساعدت يوليوس قيصر على الافلات من هزيمة محققة ، ومن المؤكد أن الأنباط قدموا مساعدتهم لأوكتافيوس عندما قرر فتح مصر خاصة أنهم قاموا بحرق أسطول كليوباترا بالقرب من هيرونوبوليس (تل المسخوطة وهي بيثوم الفرعونية) حتى يمنعوها من الهرب جنوبا في البحر الأحمر ، وكأنهم كانوا ينتقمون من تدمير بطليموس الثاني لأسطولهم عام ٢٧٨ ق.م (٤٦) . وبعد موت مالخوس تولى الملك عبادة الثالث Obadas III (٢٨ – ٩ ق.م) والذي تعاون مع الرومان ايجابيا واشترك في حملة أيليوس جاللوس ضد ملوك حمير وسبأ . ولهذا لم يشأ اكتافيوس اغسطس أن يلحق أي أذى بالأنباط نظير خدماتهم الطويلة لروما ، لأن روما كانت لا تنسى أصدقاءها . واستفاد الأنباط من ذلك الوضع الجديد ففي ظل الحماية الرومانية وصلت دولة الأنباط الى أقصى اتساعها في عهد الحارث الرابع (٩ ق.م – ٤٠ م) ، وقد سبب هذا التزايد ازعاجا لدى الامبراطور تيبريوس ففكر في ضم الأنباط ضما شاملا ، لولا صداقته بالحارث الرابع ، وحرصه على اتباع سياسة أغسطس وعدم الخروج عليها ، وبعد الحارث الرابع تولى الملك مالخوس الثاني الذي سار على نفس سياسة الصداقة مع الرومان ،

والذي ساعد تيتوس Titus بألف فارس و ٥٠٠ من المشاة لكي يهاجم أورشليم وتدمير دولة يهودية (٤٣) ٠ لقد وصلت البطراء الى أقصى اتساع لها في القرن الأول الميلادي لأن سياسة أغسطس وخلفائه كانت تهدف الى جعل دولة الأنباط دولة موالية للرومان وعازلة بين حدود الامبراطورية وبين دولة البارثيين ، وقد رضى الأنباط بذلك الدور لأنهم اعتقدوا أن الرومان سوف يكافئونهم بأن يطلقوا يدهم في تجارة البحر الأحمر وينفردون بها ، لكن الرومان عندما وصلوا الى المياه الشرقية بدأوا يغيرون فكرتهم وظهر الأسطول الحربي الروماني في مياه البحر الأحمر ببوارجه الحديثة ، وبدأ الرومان يقلمون أظافر حلفائهم حتى لا يتحولون الى خطر يهدد مصالحهم في هذه المنطقة ، وبالتالي بدأت دولة الأنباط تنكمش لتعود الى حدودها الطبيعية بعد منتصف القرن الأول الميلادي خاصة أن السلام الروماني كان قد استتب تماما في البحر الأحمر ووصلت روما الى اتفاق مع البارثيين ، ولم يعد هناك حاجة الى الأنباط بعد أن أصبح طريق الملاحة الى الهند آمنا ومؤمنا (٤٤) ، وربما اتخذ الرومان اجراءات أمنية ضد الأنباط فوضعوا حامية رومانية بقيادة قائد مائة Cenlurion في ميناء ليوكي كومي لجمع المكوس لصالح الامبراطورية (٤٩) وليس من المستبعد أن يكون الرومان وراء تغيير طريق القوافل بين الخليج الفارسي والبحر الأبيض ليمر عبر مدينة بالمورا بعيدا عن أرض الأنباط لأننا نجد في نفس الوقت تقريبا طريق التجارة البرية على ساحل البحر الأحمر يتخذ طريقا أبعد نحو الداخل بعيدا عن نفوذ الأنباط في نفس الطريق الذي أقام فيه العثمانيون خط سكك حديد الحجاز ، كل هذا لابد وأن يكون تخطيطا دقيقا لاضعاف الأنباط اقتصاديا ، وبالفعل بدأت دولة الأنباط تتدهور اقتصاديا وسياسيا في عهد آخر ملوكها رابيل الثاني (٧١ ـ ١٠٦م) الى أن رأى الامبراطور تراجانوس في عام ١٠٦م انهاء وجود دولة مستقلة للأنباط وتنفيذ مشروع تيبريوس القديم في نفس العام الذي استولى فيه على بلاد البارثيين ودخل عاصمتهم طيسفون (المدائن) ، وهكذا تحولت بلاد الأنباط الى ولاية بلاد العرب الرومانية وينتهي بذلك سفر طويل من علاقات الرومان بالأنباط انتهى بالتخلص التدريجي منهم لتنفرد روما بالسيادة المطلقة على البحر الأحمر لأن سياسة الرومان الدفاعية لم تكن لتسمح بوجود حليف قوي قد يتحول الى خطر عليهم مستقبلا وهي نفس السياسة التي جعلت روما تدمر قرطاجة وكورنثا وتزيلهما من الوجود عام ١٤٦ ق٠م ٠

واذا ما غادرنا ميناء ليوكي كومي (الحوراء) جنوبا في اتجاه مضيق

باب المندب وجدنا ساحل شبه الجزيرة الشرقي وعرا لايصلح لرسو السفن وتسكن كهوفه عصابات قراصنة البحار (٥٠) ، ولهذا كانت السفن تتجنب السير بحذاء الساحل وتفضل أن تتخذ مسارها وسط البحر بل أن كل سفينة كانت تحرص على حمل قوة حراسة مسلحة للدفاع عنها ، مما يزيد من تكاليف نقل البضائع · ولقد رأينا كيف أن الأسطول الحربي في عصر البطالمة اضطر لمصاحبة السفن التجارية حتى باب المندب وساحل حضرموت لكن بظهور الأسطول الحربي الروماني تغير الحال تماما حيث أصبح البحر الأحمر آمنا تماما ·

ولقد روى استرابون نقلا عن صديقه ايليوس جاللوس والي مصر الثاني أن ما يقرب من ١٢٠ سفينة أصبحت تمخر عباب البحر غداة الفتح الروماني لمصر وتقلع من ميناء ميوس هرموس في طريقها الى الهند بينما في أيام البطالمة لم تكن سوى عشرين سفينة على الأكثر تجرؤ من الخروج من البحر الأحمر (٥١) ، ونفهم من دليل الملاحة أن هذا العدد من السفن لم يكن سكندريا بل شمل قوميات أخرى مثل العرب والهنود (٥٢) ، ولم تعد السفن في حاجة الى تسليح نفسها كما كان قبل ذلك ·

واذا ما اقتربنا من باب المندب تتغير طبيعة الساحل فيصبح أقل وعورة وأكثر خصوبة حيث هطول الأمطار وتنمو الزراعة ويقوم العمران والحضارة وحيث قامت عدة امارات مثل المعينية والقتبانية والسبئية والحضرموتية نجحت كل بدورها في توحيد اليمن وخلق الدولة المتحدة المنظمة ·

وغير أنه بقدوم القرن السابع ق·م نجد احدى هذه الامارات اليمنية وهي دولة سبأ تخضع الدولة المعينية وتفرض سلطانها على ساحل شبه الجزيرة الجنوبي والغربي كله ، بل امتد ، سلطان السبئيين الى مراكز المعينيين في الشمال ، وبذلك تحولت الى أيديهم زمام القوافل التجارية ، واتخذت الدولة السبئية مارب حاضرة لها · غير أن نشاط بطليموس الثاني في البحر الأحمر عام ٢٧٠ ق·م · ألحق ضربة اقتصادية بالسبئيين ولهذا وقفوا مع السليوكيين ضد بطليموس الرابع في معركة رفح عام ٢١٧ ق·م كما نفهم من أحد النقوش اللحيانية والتي تبين أن اللحيانيين حلفاء البطالمة تعرضوا لعدوان السبئيين خلال هذه الحرب (٥٣) · لكن دولة السبئيين سرعان

ما تدهورت على أيدي ملوك ريدان أصحاب ظفار والذين فرضوا سلطانهم على الساحل الجنوبي والجنوبي الغربي لشبه الجزيرة في عام ١١٥ ق٠م ، وسيطروا على طريق البخور القديم ، وقد عرفوا باسم الحميريين ، ولكنهم تمسكوا باطلاق اسم السبيئيين على أنفسهم ولهذا سماهم العلماء باسم السبئيين ـ الحميريين وهم الذين وجدهم الرومان يسيطرون على جنوب البحر الأحمر غداة فتحهم لمصر ، خاصة وان كان لهم موانىء هامة مثل ميناء موزا Muza (موخا الحالية) على الساحل الجنوبي الغربي ، وكان هذا الميناء هاما لدرجة أن مؤلف دليل الملاحة أثنى عليه وعلى تجارته الرائجة (٥٤) ٠ حيث كان يتجمع فيه محصول القرفة المجلوبة من الصومال ، وكان لهم ميناء آخر قرب باب المندب هو ميناء « أوكيليس » Ocelis والذي كان يتمتع بمزايا مثالية لرسو السفن التي كانت تتزود من مصادر مياهه العذبة قبل اقلاعها الى عرض المحيط الهندي في طريقها الى شبه الجزيرة الهندية ٠ وقد أثنى بليني أيضا على مزايا هذا الميناء (٥٥) ٠ وعلى مسافة ليست بالبعيدة من ميناء أوكيليس يقع ميناء عدن (Adana) والذي منه كانت السفن تقلع مباشرة الى الهند ٠ ولقد أطلق الكتاب الاغريق والرومان على ميناء عدن اسم بلاد العرب السعيدة Arabia Felix - Arabia Eudaimon وعمموا هذا الاسم على منطقة جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كلها ، ولقد ذكر استرابون أن بلاد السبئيين كانت أكثر البلاد يمنا Eudaimonestate وأن سكانها كانوا أثرياء يحتكرون تجارة التوابل والكندر والقرفة والبلسم ويكنزون الذهب والفضة ويقتنون الأحجار الكريمة ، كما أن بلادهم كانت تربح كثيرا من التوابل (٥٦) ٠ ولقد كان العرب اليمنيون تجارا مهرة مثل الفينيقيين ، تمتد تجارتهم من الهند شرقا حتى مصر شمالا ، كما أن موقع بلادهم أتاح لهم السيطرة على جنوب البحر الأحمر وساحل شبه الجزيرة الجنوبي حتى الخليج الفارسي شرقا ، كما سيطروا على ساحل أفريقيا المواجه لساحلهم من باب المندب شرقا حتى « رابتا » في أوغندا ، والى رأس « غار دافوى » جنوبا ، كما كان هناك خط ملاحي دائم بين ميناء موزا وميناء رابتا ، بل كان لهم مركز تجاري آخر في جزيرة سقوطراي (٥٧) ، وكان اليمنيون أول من استخدموا الجمال كوسيلة لنقل البضائع عبر مدقات الصحراء وعبر طريق البخور القديم من تمنع Thomna جنوبا حتى غزة شمالا وهي مسافة قدرها بليني بحوالي ٢٤٣٧ ميلا رومانيا (٥٨) ويتخللها حوالي ٦٥ محطة تجارية (٥٩) وقد ذكر استرابون أن المكوس والضرائب كانت تجبى من هذه القوافل عند هذه المحطات حسب مرورها من نفوذ قبيلة الى أخرى مقابل حماية الركب (٦٠) ٠

وعندما سمع أغسطس الذي كان يقتفي سيرة الاسكندر بثراء أهل اليمن قرر أن ينال للامبراطورية نصيبها من هذا الثراء ولكي يكمل سيطرة الامبراطورية على البحر الأحمر كان لابد من اخضاع هؤلاء العرب وهو أمر وعده به الاسكندر ولم يعش لتحقيقه عندما تحدوه ورفضوا الاذعان له (٦١) ، وارسال الهدايا مثل غيرهم من الشعوب ، كما هدف أغسطس الى كسر احتكارهم للتجارة الشرقية وتحويل مسارها الى صالح الموانىء المصرية (٦٢) التابعة رسميا للامبراطورية الرومانية ، وهذا ينطبق مع روح السياسة المادية البحتة للامبراطورية ، خاصة أن تجارة العطور والتوابل كانت في نظره يمكن أن تشكل مصدرا جديدا من مصادر الدخل المالي لصالح الامبراطورية من أجل العبور بها الى عصر الرخاء بعد الأزمات والحروب الأهلية التي قضت على اقتصادها ، فضلا عن ازدياد الطلب على العطور والتوابل والحرير وغيرها من المنتجات الشرقية بعد التغير الذي حدث في ذوق الشعب الروماني · وتمشيا مع السياسة الأوغسطية التي تهدف الى تقليم أظافر دويلات البحر الأحمر التي كانت تتصارع على ملء الفراغ الذي تركته مصر البطلمية قبل وصول روما الى مياه البحر الأحمر ، كان على اغسطس أن يقوم بعمل عسكري حاسم ضد الدولة السبئية ـ الحميرية خاصة انه لم يكن لها أي اتصال أو صداقة أو تحالف بالرومان يشفع لها ويعيق غزوها ، هذا هو الدافع الذي جعله يخرج عن السياسة العامة التي وضعها وهي عدم التوسع ·

ومن أجل ذلك عهد الى ايليوس جاللوس ثاني ولاته على مصر (٢٦ ـ ٢٤ ق·م) لكي يقوم بحملة على اليمن ، وحشد الوالي عشرة آلاف جندي من بينهم فرقة رومانية مجهولة الاسم وبعض الوحدات المساعدة التي سحبت من القوات الرومانية المعسكرة في مصر ، كما ساهم الملك عبادة الثالث ملك الأنباط وحليف الرومان بعشرة آلاف جندي وبعدد من الأدلاء يقودهم وزيره الخبيث سيلايوس Syllaeus ونستشف من حديث سترابون مؤرخ الحملة أن القوات النبطية اشتركت فيها على مضض لأن الحملة تعرضت للغدر والخيانة عدة مرات (٦٣) ، ومن المعروف أن الأنباط كانوا يتعاونون مع اليمنيين منذ زمن بعيد لاحتكار تجارة البحر الأحمر ، كما أن سيلايوس وجنوده كانوا يعلمون أن هدف هذه الحملة ـ اذا ما نجحت ـ هو سيطرة

الرومان الكاملة على تجارة البحر الأحمر وحرمانهم واليمنيين من مصدر ثرائهم الوحيد ، كما اشترك هيرودور الأكبر حليف الرومان أيضا بقوة قدرها ٥٠٠ مقاتل ، وكان جاللوس قد بنى في عدد من البوارج الحربية الحديثة المطورة من البوارج البطلمية والتي أطلق عليها استرابون اسم Sikpota (٦٤) بلغ عددها ثمانون بارجة بنيت وأعدت في مصر بالاضافة الى ١٣٠ حاملة للجنود ، ومن الواضح أن الحملة قد خططت على عجل ودون دراسة لطبيعة حرب الصحراء ولم يتعظ الرومان من ذكرى هزيمة كراسوس في كارهاي ، وكان الحملة قامت على أساس الاعتماد الكامل على معاونة الأنباط ٠

وفي عام ٢٥ ق٠م أقلعت الحملة من ميناء كليوباتريس (قرب السويس) وأقلعت مباشرة الى ميناء ليوكي كومي النبطي ، ومن اللافت للنظر أن جاللوس فضل أن يبدأ رحلته من الساحل الشرقي للبحر الأحمر ومن ميناء نبطي يبعد مايقرب من ٩٠٠ ميل عن أرض سبأ ، بدلا من أن يبدأها من ميناء بيرينيكي على الساحل المصري التابع للرومان في الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وهو المنافس للساحل المصري وموانيه وذلك لارهاب الأنباط والسبئيين معا لأن مخطط الحملة هو أن تسير أكبر قدر ممكن عبر أراضي الأنباط والعرب الجنوبيين ، وبعد خمس عشر يوما وصلت الحملة الى ميناء ليوكي كومي بعد أن تكبدت خسائر فادحة في السفن والأرواح بسبب صعوبة الملاحة في هذا الجزء من البحر الأحمر ، ومن ثم اضطر جاللوس أن يستريح بقية الصيف وشتاء العام كله ، ولم يستأنف السير الا في ربيع عام ٢٤ ق٠م ، وسلك دروب الصحراء مستخدما الجمال لنقل المياه والمؤونة والعتاد وبالطبع كان الأدلاء النبطيون يرشدون الحملة عبر مجاهل الصحراء ، واستمر السير ثلاثين يوما في أرض الملك اريطاس وخمسين يوما أخرى في أرض الملك سابوس أحد ملوك البدو في نجد ، حتى بلغوا سهل نجران حيث تمكنوا من الاستيلاء على بعض المدن الصغيرة ، وبعد أن تزودوا بالمياه استأنفوا السير نحو ماريابا Mariaba (سد مارب) عاصمة السبئيين ومقر ملكهم الذي كان يدعى في ذلك الوقت اليساروس Ilissaros والذي يعتقد البعض أنه « آل شرح يحضب » الذي ورد ذكره في نقوش السبئيين (٦٥) ، وضرب جاللوس الحصار حول مارب ، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها بسبب نفاد الماء والمؤونة ، فاضطر الى فك الحصار عنها ، وعرف جاللوس أنه على بعد مسيرة يومين من أرض أروما (سهل حضرموت ، وبعد

مسيرة ستة أشهر تعرض خلالها لغدر الأدلاء الأنباط ومقاومة السكان ، قرر الانسحاب عائدا الى نجران ، ثم سار أحد عشر يوما أخرى حتى وصل الى منطقة الآبار السبعة ، ثم اخترق الصحراء والحضر حتى وصل الى ميناء أجرا على البحر الأحمر ومنه ركب البحر عائدا الى ميناء ميوس هورموس ، ثم عبر طريق القوافل حتى قفط ومنها ركب النيل الى الاسكندرية ، وقد استغرقت رحلة العودة ستين يوما بينما استغرقت رحلة الذهاب مايقرب من ستة أشهر ·

لقد أخفقت حملة جاللوس تماما من الناحية العسكرية لأنها تكبدت خسائر فادحة في الرجال والعتاد بسبب المرض والجوع والخيانة ، وفشلت في احتلال اليمن ، لكنها من الناحية السياسية والاقتصادية حققت نجاحا منقطع النظير · وذلك لأنها مزقت الحجب والغموض اللذان كانا يحيطان بشبه الجزيرة العربية وبدأ الاغريق والرومان يعرفون ويكتبون عن سكان شبه الجزيرة ، ويقول بليني الأكبر « اننا بفضل هذه الحملة عرفنا شيئا عن المعينيين والسبئيين والحميريين » ، ومن خلال وصف سترابون مؤرخ الحملة وصديق جاللوس قائدها ــ نستطيع أن نتخيل أنها اندفعت وسط هضبة نجد والحجر الى حدود حضرموت واليمن ، وكما يقول اغسطس نفسه في اثر أنقرة أنه وصل الى حدود السبئيين وسد مارب ، كما أن سكان الجنوب العربي رأوا الرومان لأول مرة وجها لوجه وأعجبوا بهم وبقوتهم ، وبدأ عهد جديد من الصداقة الوطيدة بين الأباطرة وأمراء المشايخ العرب تبادلوا فيها الهدايا والوفود ، وعقدت اتفاقيات الصداقة (٦٦) · ومن الناحية الاقتصادية كانت هذه الحملة بداية عهد جديد للملاحة في البحر الأحمر ، اذ حققت السيادة الرومانية على جانبي ساحل البحر الأحمر ، والغت القوى القديمة التي كانت تتصارع عليه والغت احتكار العرب وحولت التجارة الى الموانيء الواقعة على الساحل المصري التابع لهم خاصة ميناء ميوس هورموس ، كما أعطت للرومان حقوقا في استخدام بعض الموانيء على الساحل كما رتبت الموانيء حسب درجات صلاحيتها ووضعها القانوني مع حكامها بالنسبة للامبراطورية وذلك حسب اتفاقيات محلية عقدتها روما وكما سنرى ليس من المستبعد أن تكون الامبراطورية قد فرضت مكوسا مقابل حفظ السلام في البحر الأحمر ··

والحاقا بهذه الحملة الفريدة من نوعها في تاريخ الامبراطورية شرع أغسطس في العام الأول الميلادي في تنفيذ مشروع الاسكندر القديم وهو

استكمال الدوران حول شبه الجزيرة العربية من الخليج الفارسي حتى البحر الأحمر ، واتبع في ذلك أسلوبا علميا تطبيقا واقعيا لا يقوم على الخيال الرومانسي ، ولهذا قام بمسح واستكشاف جانبي الخليج الفارسي ، وقام بهذه المهمة ملاح اسمه ايسيدوروس من مدينة « خاراكس سباسيمو » عند الخليج ، ولا شك أن هذه الحملة قد تمت بالتفاهم مع البارثين وربما كان من نتائجها هو تلك الغارة السريعة المدمرة على ميناء عدن .

ولقد لاحظ العلماء أن الميناء الوحيد الذي أسقط مؤلف دليل الملاحة في البحر الأحمر ذكره من قائمة الموانيء القائمة وقت كتابة هذا العمل الشهير هو ميناء عدن ، والذي كان يعرف عند الرومان باسم بلاد العرب السعيدة Arabia Eudaimon وقد ذكر مؤلف دليل الملاحة أن هذا الميناء كان ذات يوم مدينة عامرة زاهرة بالتجارة والحركة قبل أن يدمره قيصر Caesar ويتركه كما وجده مؤلف الدليل قرية ساحلية لا أهمية لها بالرغم من أن موقعها كان لايزال وقتذاك مناسبا لميناء جيد مزود بمصادر مياه عذبة لتزويد السفن وتفوق في جودتها مياه ميناء أوكيليس Ocelis الذي انتقلت اليه الأهمية ، كذلك ذكر مؤلف الدليل أن في الأيام السابقة على عصره كان ميناء عدن محطة عالمية كبرى لتجارة أعالي البحار بين الشرق والغرب .

ولقد دار جدل بين العلماء حول من هو « قيصر » الذي دمر ميناء عدن حتى أنه لم يعد له قائمة منذ ذلك التاريخ مثلما اختفت قرطاجة وكورنثا ، وحتى حدث ذلك ؟ وماهي الأسباب وراء ذلك العمل ؟ وقد قدم العلماء اجتهادات وافتراضات مختلفة . فقد رأى بعضهم أن تدمير عدن تم داخل الصراعات المحلية في اليمن ، وأن موقع عدن الاستراتيجي الهام المتحكم في مداخل البحر الأحمر — والساحل الصومالي — الحبشي المواجه له ، وكذلك الطريق الساحلي الطويل المتجه صوب عمان والخليج — هو الذي جر عليها حقد الموانيء اليمنية الأخرى فتآمرت عليها ودمرتها ، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن حكام ميناء « موزا » لهم يد في ذلك ، فضلا عن حقد المصريين من عدن وغيرتهم منها ، وقد اقترح الأستاذ شوف Schoff. في نهاية تعليقه على هذه الفقرة من دليل الملاحة أن كلمة قيصر في النص اليوناني ترجمة خاطئة لكلمة ملك عند العرب (٦٧) . وهذا الملك الذي دمر هذا الميناء ربما هو شرحبيل ملك الحميريين الذي عاش في عصر الأسرة البوليوكلاودية

(٤٠ ـ ٧٠م) ، ويدلل « شوف » على رأيه بأن أحداث التاريخ الروماني ومصادره لا تعرف ولم تسجل أي هجوم قام به أحد أباطرة هذه الأسرة على عدن ، وبالتالي فان المقصود بكلمة قيصر هو ملك الحميريين المذكور ، غير أن الأدلة والمنطق التاريخي لا يؤيد هذا الرأي فليس من المعقول أن تقوم دولة عرفت بقيام الاتحادات بين أجزاء اليمن بتدمير أجود موانيها بل أن الأجدر هو الاستيلاء عليه ، كما أن موانيء اليمن كانت متعاونة فيما بينها من أجل احتكار التجارة ، كما أن افتراض أن المؤلف قد أخطأ تحميل أكثر من اللازم للنص وبالتالي فليس من المعقول أن يكون موقع عدن الممتاز السبب في نكبتها على أيدي الحميريين ·

وهناك رأي آخر يشكك في وقوع الحادثة ذاتها مدعين أنه لم يعثر على اي آثار تدل على عمل عسكري روماني في الميناء أو آثار احتلال (٦٨) دائم قصد به كسر شوكة العرب التجارية في البحر الأحمر وبحر العرب لتسهيل التجارة لصالح عملائهم وتجارهم في مصر ، ويقولون أنه لو كانت مثل هذه الحملة العسكرية قد حدثت بالفعل لهلل الكتاب والشعراء والمؤرخون الرومان لأنه أمر بعيد الاحتمال أن يغيب مثل هذا الانتصار الروماني الباهر في بلاد العرب السعيدة عن الدعاية الرومانية التي كانت جزءا من سياستهم العامة ، خاصة اذا كان قد ترتب عليه نتائج هامة ، في حين أن حملة جاللوس ظلت تردد في مؤلفاتهم ولم تغب عن أذهانهم أبدا ويقولون أنه اذا كانت هناك مثل هذه الحملة حقا لما ذكر بليني الأكبر أن ايليوس جاللوس كان الروماني الوحيد الذي قاد جيشا الى جنوب بلاد العرب · ومن ثم يخلص أصحاب هذا الرأي الى أن مؤلف دليل الملاحة في البحر الأحمر قد اختلط عليه الأمر ، اذ أنه قد سمع بلاريب عن حملة جاللوس في بلاد العرب السعيدة والتي كان اسمها يطلق أيضا على ميناء عدن فاعتقد خطأ أن الهدف منها كان الاستيلاء على الميناء وتدميره ، وافترض أصحاب ذلك الرأي أن النص يقصد عصر الأسرة البوليوكلاودية وبالأحرى عصر نيرون ، وبالفعل لم يحدث أي غزو روماني خلال حكم هذه الأسرة على عدن · غير أن العبارة التي ذكرها الدليل أن ميناء عدن كان قائما حتى وقت « ليس ببعيد عن عصرنا » واذا قبلنا الرأي العام أن دليل الملاحة كتب مابين ٨٠ ـ ٨٥م فان الفاصل الزمني المناسب هو ثمانون أو خمس وثمانون سنة قبل تاريخ صدور هذا العمل ، أي عصر الامبراطور أغسطس نفسه ، أي أنه من الأحرى أن نعتقد أن النص صادق فعلا وان تدمير ميناء عدن قد تم بفعل حملة سريعة وحاسمة بهدف « اذهب ودمر ثم عد » وذلك بأوامر صادرة من الامبراطور أغسطس نفسه

وبتوكيل منه الى شخص وثيق الصلة به · وأن أقرب المقربين اليه في ذلك الوقت هو ابن ابنته جوليا من جنراله المخلص الراحل اجريبا ، وبالتالي فان كلمة « قيصر » وهي تعني جايوس قيصر أغسطس · وبالفعل فان لدينا أدلة على أن جايوس قيصر أغسطس قد كلف في العام الأول الميلادي بقيادة حملة سريعة لتدعيم مركزه كوريث مرتقب لأغسطس ، وأن السبب في تدمير عدن يتفق والاستراتيجية العامة لأغسطس بعدم التوسع مع السماح بالحروب المحدودة الدفاعية ، وأن خوف الامبراطور من خطورة هذا الميناء على مصالح الامبراطورية الاقتصادية في البحر الأحمر وعلى السلام الروماني هي التي دفعته لمثل هذا التصرف قبل أن يستفحل خطره ، ويدعم من هذا الرأي الذي نميل اليه أن هناك سوابق تاريخية لأعمال مماثلة قامت بها الامبراطورية لتدمير موانيء تجارية في البحر الأبيض كانت تخشى ازدياد خطورتها على السلام والمصالح الرومانية ، وأن صيحة كاتو الشهيرة « قرطاجة يجب أن تدمر » Delenda est Carthago تحمل هذه الفلسفة وكذلك دمرت الامبراطورية في عام ١٤٦ ق·م ميناء كورنثا بدون سبب في نفس العام الذي دمرت فيه قرطاجة ·

أن الرأي القائل أن النص خلط بين جاللوس وبين قيصر المجهول أمر بعيد الاحتمال لأن ايليوس جاللوس ــ وكما نفهم من نص استرابون لم يصل الى ساحل شبه الجزيرة الجنوبي حيث تقع عدن ، بل عاد قبل ذلك وكان على مسافة مسيرة عشرة أيام من « أرض الأروما » والمقصود بها سهل حضرموت وبالتالي نرفض ما جاء في الموسوعة البريطانية بأن الرومان عرفوا عدن واستولوا عليها عام ٢٤ ق·م (٦٩) ·

أن هناك أكثر من دليل على أن قيصر أغسطس الذي كان العمر قد تقدم به وقتذاك · قد كلف حفيده الذي تبناه وأعده للعرش بالاشراف على تنفيذ مخطط استراتيجي مدروس هدفه دعم السلام الروماني في البحر ودعم المصالح الاقتصادية للامبراطورية ومن بينها كما يبدو مشروع الدوران حول شبه الجزيرة العربية والذي كان امتدادا لحلم الاسكندر القديم ، كما نعرف أن جايوس قيصر ذهب بأوامر من جده في العام الأول الميلادي في مهمة عاجلة الى الشرق الأوسط وأن الامبراطور الجد كان قد كلف أحد الخبراء وهو مؤلف كتاب « وصف العالم » بجمع كل المعلومات الجغرافية والسكانية عن هذه المنطقة لتكون في خدمة الحفيد قبل أن يبدأ رحلته الى أرمينيا وبلاد العرب (٧٠) ·

وهناك دليل آخر يؤكد أن ميناء عدن قد دمر فعلا وأن الذي قام بذلك هو الحفيد جايوس وهو ماذكره بليني في كتابه الثاني عشر أثناء الحديث عن شبه جزيرة العرب وأهم النباتات التي تنمو فيها خاصة الكندر (اللبان) حيث ذكر أن جايوس كان أول روماني شاهد بنفسه شجر الكندر ودرسه عن قرب وانه نقل المعلومات التي جمعها عن هذا النبات الى ملك موريتانيا العالم جوبا (٥٠ ق٠م ـ ٢٣ ق٠م) لكي يضمنها في كتابه عن شبه الجزيرة العربية ، واعترافا بذلك الفضل أهدى جوبا كتابه الى جايوس ، واذا كان ذلك كذلك فكيف يتأتى لجايوس أن يدرس عن قرب شجر الكندر مالم يكن قد ذهب الى سهل حضرموت حيث تقع عدن ، وهي منطقة لم يسبق لأحد من الرومان الوصول اليها ٠ وهذا يؤكد بلاشك أن جايوس الحفيد هو الذي نفذ اوامر جده أغسطس بحرق ميناء عدن ومرافقه لأنه كان يشكل خطرا على مصالح الامبراطورية الرومانية في البحر الأحمر وأن الثراء المتزايد لدى سكان عدن قد يدفعهم الى توحيد صفوفهم ومقاومة الرومان في منطقة اشتهرت بأعمال المقاومة على طول التاريخ ، ولقد حققت هذه الحملة هدفها في ذلك ، بل وأصبح منذ تلك الحملة لروما نفوذ ووجود مباشر على البحر الأحمر ، وحققت السيادة الكاملة عليه بل وبدأت في فرض مكوس على الموانيء التجارية الهامة فيه كدخل جديد لخزانة الامبراطورية (٧١) والدليل على ذلك مارواه بليني عن حكاية أحد عتقاء ثري شهير اسمه آنيوس بلوكاموس Annius Plocamus كان موكولا اليه جمع المكوس من موانيء البحر الأحمر لحساب الامبراطورية (٧٢) ، ولم يذكر بليني اسم ذلك المعتق الذي روى أن اعصارا حمله وألقى به وبسفينته الى جزيرة سيلان ، وهذا يبين لنا الى أي حد ذهب هذا المعتق في طلب المكوس من موانيء البحر الأحمر ، ولروعة التاريخ وتزاوج النصوص مع الأدلة الأثرية عثر على اسم هذا المعتق محفورا على احدى الصخور في طريق برينيكي قفط في شكل نقش مكتوب باللاتينية ومشفوع بترجمة يونانية ويقول النقش :

Λυσᾶς Ποπλιοῦ Ἀννιόυ Πλοκαμοῦ
ἥκω L λε Καίσαρος Ἐπιφ. η
LYSA. P. Anni Pliocami Veni XXXV, III. Non. IVL.

« انا لوساس عامل بوبليوس آنيوس بلوكاموس أتيت (الى هنا) العام الخامس والثلاثين من حكم القيصر ، الثامن من شهر أبيب (الموافق السادس من شهر يوليو العام السادس الميلادي » (٧٣) .

اذا فبين حملة جايوس في العام الأول الميلادي وتاريخ وصول عامل آنيوس بلوكاموس لجمع المكوس في السادس من يوليو العام السادس الميلادي

خمس سنوات ، أي أن هذه الحملة حققت الوجود الفعلي للرومان في البحر الأحمر لدرجة فرضهم المكوس ، وهذه احدى النتائج الأساسية التي حققها الامبراطور العجوز قبل وفاته في شهر أغسطس في العام الرابع عشر بعد الميلاد · وقد ظل هذا الوجود قائما حتى حدثت تطورات هامة في القرن الثالث الميلادي سوف نعود للحديث عنها ·

وقبل أن نستطرد في بحث التطورات السياسية خلال القرون التالية لابد أن نتوقف للحديث عن ذلك المؤلف الهام « دليل الملاحة في البحر الأحمر » ومايمكن أن نستخرجه من نصوصه من معلومات تخص سياسة الرومان في البحر الأحمر ·

تباينت آراء المؤرخين حول التاريخ الذي كتبت فيه هذه الوثيقة الهامة وقد ضمن لنا شوف قائمة كاملة بهذه الآراء حتى عام ١٩١٢ (٧٤) ، كما أنه بعد ذلك التاريخ حدثت اجتهادات وآراء جديدة (٧٥) لكن باستعراض هذه الآراء يمكن أن نقول أن الحد الأدنى للتاريخ المقترح لظهور دليل الملاحة هو عصر الامبراطور كلاوديوس (٤١ ــ ٥٤م) لأنه حتى عصر كلاوديوس لم يعرف أحد شيئا عن الرياح الموسمية ، ويقترح « شوف » ويوافقه على ذلك ورمنجتون Warmington تاريخا أبعد قليلا وهو مطلع عصر نيرون (٥٤ ــ ٦٨م) (٧٦) ، أما الحد الأقصى لهذه الآراء هو رأي الآنسة بيرين Pirenne التي تقترح عام ١٠٦ ميلادية بعد ضم تراجان لمملكة العرب بالأنباط وخلق ولاية بلاد العرب غير أن الآنسة بيرين ذهبت أبعد من اللازم لأن هناك ثلاث اشارات تؤكد أن التاريخ الذي كتب فيه الدليل قبل ذلك بكثير · منها وصف مؤلف الدليل للبطراء عاصمة النبطيين وذكره أنها مقر مالخوس ملك الأنباط ، وقد سبق أن أشرنا وعرفنا أن المؤرخ اليهودي يوسف السكندري أن مالخوس ملك الأنباط هذا قد ساعد تيتوس في قمع ثورة اليهود في فلسطين ، وأنه تولى عرش الأنباط من ٤٠ ــ ٧١م · وعندما تحدث المؤلف عن ميناء عدن ذكر أنه قد دمر في وقت « لا يبعد كثيرا عن وقتنا هذا » وبالتالي فان هذا الوقت لا يمكن أن يزيد عن قرن من الزمان ، والاشارة الثالثة ماورد في الدليل من ذكر اسم الملك زوسكاليس Zoscales ملك اكسوم (الحبشة) والذي تعرف عليه علماء النقوش بأنه هو الملك زا ــ ها ــ كالي Za-Ha-Kale والذي حدد موللر فترة حكمه مابين ٧٧ ــ ٨٩م ، فضلا عن اشارات أخرى وردت فيه حوليات ملوك الهند والصين القديمة ، وبناء على كل هذه الأدلة فان أغلب

المؤرخين يتفقون على أن الدليل كتب أو على الأقل صيغت نصوصه من نصوص وملاحظات سابقة مابين ٨٠ ـ ٨٥ ميلادية وقد وصل الى هذه النتيجة ماكرنيدال وسميث وميللار (٧٧) وغيرهم ·

أما عن هوية المؤلف فقد دار فيها أيضا جدل كثير ، فقد اقترح بعضهم اسم آيانوس حاكم كابادوكيا والأديب الشهير الذي عاش في عصر هادريانوس وهو أول من وصف الملاحة في البحر الأسود والذي منه طور العمل الشهير Peripls Maris Euxini دليل الملاحة في البحر الأسود (٧٨) وربما يكون مؤلف الدليل بحارا سكندريا كان اسمه آريانوس السكندري · لكن ذلك مجرد احتمال ، غير أن أغلب الظن يرجح أن دليل الملاحة حول البحر الأحمر لم يكن مؤلفا عاما من فعل مؤلف ، بل كان أشبه بوثيقة رسمية خاصة كتبت كبحث حتى يرسم على ضوئه سياسة ومصالح الامبراطورية التجارية في الشرق ويحدد على ضوئها الأموال التي تأتي لخزينة الامبراطورية · أي أنها كانت وثيقة رسمية تابعة لادارة الخزانة الرومانية أو بحث رسمي كلف أحد الخبراء بعمله لصالحها · ومن هنا يكون اسقاط هوية المؤلف أمرا متعمدا ، أو أنه ربما كان تقريرا اشترك في كتابته أكثر من خبير وبالتالي فان اسم آيانوس هو اضافة أضافها النساخون الى النص في وقت لاحق ، وأيا كان الأمر فان كاتب هذا البحث بحار اغريقي الجنسية أو اللسان أغلب الظن من سكان مدينة الاسكندرية وذلك لأن الدليل يصف ويسجل مجموعة من الرحلات البحرية كلها تبدأ من الموانيء المصرية على ساحل البحر الأحمر وتنتهي بجنوب الهند ، وبذلك فهو أول وثيقة أصلية عن موانيء البحر الأحمر وشرق افريقيا وجنوب الجزيرة العربية وسواحل الهند الشرقية والجنوبية أما السبب في أن الدليل عالج بسرعة عابرة منطقة الساحل الافريقي جنوب أوبوني Opone في أوغندا ومنطقة الخليج الفارسي فهذا مرجعه الى أن هاتين المنطقتين كانتا خارج حوزة الامبراطورية وفي أيدي الحكام العرب الجنوبيين وليس لها ارتباط مباشر بخط مصر ـ الهند الملاحي (٧٩) ·

لقد وصف الدليل موانيء البحر الأحمر بالتفصيل العلمي الدقيق ، ورصد ظاهرة المد والجزر ومواقيت هبوب العواصف والأعاصير وكيفية التنبؤ بها ، ثم أحوال رسو السفن في هذه الموانيء ، ثم حجم التجارة في كل ميناء وطبيعة سكانه ومدى مايتوقعه التاجر البحري من تعاون من السلطات الحاكمة فيها في ضوء العلاقات التعاهدية بين هذه الموانيء وبين الامبراطورية الرومانية ، ويذكر جنسية السفن التي تتردد على هذه الموانيء فالى جانب

سفن السكندريين كانت هناك سفن الهنود والعرب ، ويؤكد الدليل أن أهم السلع التجارية في هذه الموانيء هي التوابل مثل الحنظل (المر) والكندر (اللبان الذكر) والقرفة Cinnamon والفلفل الأسود وعطر الناردين ، وكلها كانت تحملها السفن الى موانيء مصر خاصة ميناء ميوس هورموس (٨٠) وكما هو واضح كان مؤلف أو مؤلفو الدليل على معرفة جيدة بالطرق الملاحية وتردد التجار السكندريين عليها ، ووجود روح التعامل والتفاهم بين القوميات المختلفة من اغريق ومصريين وعرب وهنود تحت مظلة السلام الروماني ، وأن حركة تجارية نشطة كانت قائمة من ميناء أرسينوى قرب خليج السويس حتى ميناء تاميل في جنوب الهند ، كما يعدد الدليل أسماء الموانيء والأسواق البحرية على طول جانبي البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي وهو المجال الجنوبي للاقتصاد الروماني في الشرق ٠ وذكر أن عدد هذه الموانيء يبلغ سبعا وعشرين ميناء لكنه يصنفها الى ثلاث فئات حسب علاقاتها التعاهدية مع الامبراطورية وهي :

١ ـ موانيء صالحة للاستخدام وتلتزم بالقانون وهي موانيء الدرجة الأولى التي تضمن فيها حقوق المتعاملين وتؤكد صلاحية هذه الموانيء للرسو والاقلاع وقد وصف الدليل هذه الفئة باسم ὅρμοι ἀποδεδειγμένοι واللفظ يعادل باللاتينية Lege et Vsu recepta وهذه الموانيء هي ميوس هورموس وبرينيكي في مصر وميناء موسخا في حضرموت وهو أحد مراكز تصدير الكندر (٨١) ٠

٢ ـ موانيء ملتزمة بالقوانين ὅρμοι νόμιμοι لكنها ليست في الخط الملاحي الدائم واللفظ اللاتيني لها هي Legitimum وتشمل هذه الفئة موانيء عدول (زيلا قرب مصوع) على ساحل الحبشة ، وميناء موزا (موخا) في جنوب شرق الجزيرة العربية وميناء أبولوجوس Apolcgos عند مصب الفرات (٨٢) ٠

٣ ـ موانيء قائمة من الناحية الطبيعية والواقعية ἐνθεσμα مثل ميناء كاللينا Calliena الميناء الأول لمملكة أندهرا Andhra في وسط الهند وبالقرب من بومباي (٨٣) وربما يعني ذلك أنه مرخص باستخدامها لكن على مسئولية البحار ٠

ويذكر الدليل أن هذه السفن التي كانت تتردد بين موانيء البحر الأحمر كانت تحمل الى مصر لحاء القرفة من الصومال والفلفل والتوابل والحرير والقطن واللؤلؤ والأحجار الكريمة من الهند ، من الواضح أن الدليل لم يوضح على وجه الدقة الفروق بين هذه التسميات لكنها بلا شك تلمح الى أوضاع قانونية ومعاهدات ثنائية على درجات مختلفة بين هذه الموانيء وبين الامبراطورية الرومانية ، وبعض الضمانات والحماية التي تضمنها الامبراطورية عن طريق ممثليها في هذه الموانيء الذين كانوا أيضا يجمعون المكوس ·

ومن الملاحظ أن الفئة الممتازة كانت موانيء مصر وهي موانيء معروفة منذ أيام البطالمة ، وربما سعى البطالمة الى نفس الشيء لكن في حيز محدود ، أما الموانيء التي كانت تقع خارج حدود الامبراطورية فنجد وضعها تحدده معاهدات ثنائية عقدتها الامبراطورية مع حكامها ، أما الهدف الأساسي من هذه المعاهدات هو ضمان الخط الملاحي التجاري بين ميوس هورموس وبيرينيكي في مصر وميناء موسخا في حضرموت ثم بين ميناء عدول (مصوع) وميناء موزا في اليمن وميناء أبولوجوس عند مصب الفرات وميناء كاللينا في وسط الهند · ويقول الدليل أن ملوك سبأ وحمير صاروا أصدقاء للأباطرة ·

وبعد موت أغسطس ورث خلفاؤه امبراطورية ذات سيادة فعلية على البحر الأحمر وتنعم بدخل اقتصادي كبير ولهذا سار الخلفاء على نفس سياسته ولم يأل أحدهم جهدا في دعم الاهتمام بطرق التجارة ، فمثلا أمر تيبريوس بخلع ملك الأنباط لتشككه في نواياه ، وكان يزمع ضم بلاد العرب الأنباط ضما مباشرا الى حوزة الامبراطورية وخلق ولاية بلاد العرب ولفرض السيطرة المباشرة على طريق القوافل الذي يربط بين ميناء ليوكي كومي وبين البطراء ، غير أن هذا المشروع لم ينفذ الا بعد سبعين عاما من موت تيبريوس وعلى يد تراجانوس لكن الامبراطور العجوز الشحيح أبدى قلقه وعدم ارتياحه ازاء النزيف الاقتصادي للذهب الروماني المتجه الى الشرق مقابل الكماليات خاصة الحرير الذي انتشر ارتداؤه بين الرومان سواء الرجال أو النساء ، ففي خطاب مفتوح موجه الى السناتو ونقله لنا المؤرخ تاكيتوس لفت تيبريوس نظر الأعضاء الى المبالغة في الترف والاقبال على شراء الحرير ــ مما يسبب نزفا للذهب الذي يذهب « حتى الى أعداء الامبراطورية » (وهو هنا يقصد البارثين) مقابل استيراد مواد « ذات طبيعة ترضي أذواق المخنثين » ولهذا

وجه لومه للرجال والنساء على السواء (٨٤) ، وكان من بين سياسة أغسطس جعل واعتبار الدينار الروماني رمزا لسيادة وعظمة الامبراطورية بين شعوب العالم ولذا دعم التجارة بكميات كبيرة من الذهب الجيد الذي سك في شكل عملات وهو بذلك قد فعل مثلما فعلت الملكة اليزابيث في القرن السابع عشر مع شركة الهند الشرقية ، كما أن رغبة الشرقيين في اكتناز الدينار الروماني وقلة طلبهم على منتجات الامبراطورية وهبوط مستوى المعيشة بينهم حول ميزان المدفوعات - لو جاز لنا استخدام هذا التعبير الحديث - الى صالحهم (٨٥) . ولقد حاول تيبريوس وضع بعض الاجراءات للحد من استخدام الحرير والأحجار الكريمة لكنه لم ينجح في محاولاته . وفي عصر الامبراطور كلاوديوس نجد زيادة في الاهتمام بالطرق الصحراوية التي تربط بين ميوس هورموس وقفط (٨٦) ، واصبح الميناء الرئيسي لتجارة مصر في البحر الأحمر ، فمثلا أعيد رصف الطريق وزود بالعلامات التي تحدد المسافات وحفرت الآبار واقيمت خزانات المياه ونقاط الحراسة ومحطات استراحة للتجار ، كما أنه في عصر كلاوديوس استخدمت محاجر الصحراء الشرقية التي كانت تقع على بعد ثلاثين ميلا من ميوس هورموس وسمي أحد المحاجر باسم الامبراطور أي جبل كلاوديوس

كما بدأ في عصر كلاوديوس حركة استكشاف لنهر الأردن وحدود فلسطين وسوريا وشمال شبه الجزيرة العربية والطرق التي تمر عبرها الى بلاد مابين النهرين وكان ذلك تمهيدا لضم مملكة العرب النبطيين لاكمال السيطرة المباشرة على البحر الأحمر (٨٧) ونتيجة لهذه الحركة الكشفية زادت الرحلات التجارية حول سواحل شبه الجزيرة وبدأت المعلومات تتزايد عنها وعن طرقها وآبارها وأسرارها كما يظهر من وصف بطليموس الجغرافي (٨٨) .

ولقد أبدى نيرون اهتماما زائدا (٨٩) بالتجارة مع الشرق والعناية بالطرق التي كانت في خدمة هذه التجارة وكان هذا الاهتمام يلقى البحث العلمي والجغرافي عن الشرق ، والذي لم يتوقف منذ استرابون وصدور دليل للملاحة في البحر الأحمر ، بل استمر ولقي التشجيع من جانب الأباطرة . لقد كتب الأديب بليني الأكبر الذي عاش في عصر نيرون عن التوابل والعطور والنباتات الطبية التي وضع قوائم مطولة بأسمائها ومصادر انتاجها ، بل وأسعارها وطريقة زراعتها وفوائدها . كما أعطانا صورة حية عن الترف والبذخ الذي عاش فيه الرومان خاصة القصر الامبراطوري ، والذي ينعكس

في استهلاك كميات كبيرة من المنتجات الشرقية من عطور وعطارة وحرير ولؤلؤ ، فقد حرق جثمان بوبايا سابينا زوجة نيرون وسط اكداس من الأعشاب العطرية النادرة المستوردة من الشرق ، وقدرت كمية ما استهلك لهذا الغرض مايساوي الكمية التي تستوردها العاصمة من الشرق في عام واحد (٩٠) ولقد أبدى بليني اعجابه بذكاء نيرون عندما خفض وزن الدينار الذهبي (الأورايوس) *Auracus*. وقلل من وزنه فجعله $\frac{١}{٥٤}$ من الرطل الروماني بعد ماكان $\frac{١}{١٤٢}$ في عصر أغسطس ، كما خفض وزن الدينار الفضي من $\frac{١}{٨٤}$ الى $\frac{١}{٩٦}$ من الرطل الروماني ، كما خلط فضة الدينار بمعادن أخرى ، وقد فعل نيرون ذلك بعد أن فشلت فكرة سلفه كلاوديوس في سك عملة رومانية ذات قشرة فضية فقط ، وقد أوقف نيرون هذه المحاولة واتخذ قراره السابق ذكره والذي كان يهدف الى محاولة وقف نزيف الذهب والفضة الى شبه جزيرة (٩١) العرب والهند والذي قدره بليني – المعروف بدقته وحبه للاحصاءات والأرقام – بحوالي مليون سستركيس سنويا (٩٢) ، ومن الأشياء الهامة التي ذكرها بليني أن حاكم قتبان في جنوب الجزيرة كان الرجل الوحيد الذي بيده تحديد أسعار القرفة عاليا ، ولم يكن أحد ليستطيع تحديد سعر معين لها فقد وصلت حينا الى الف دينار للرطل الروماني بحجة شبوب حريق في أشجارها أما في الأوقات العادية فكان الرطل يباع بنصف ذلك الثمن ، كما ذكر أن الاسكندرية كانت السوق الدولية التي يشترى منها الغرب توابل الشرق (٩٣) .

ومن أجل البحث عن طرق جديدة للتجارة مع الشرق أرسل نيرون بعثة استكشافية الى النوبة عام ٦١م عادت بخريطة مفصلة وتقرير شامل (٩٤) عام ٦٤م ، وقد قابلت السلطات النوبية هذه البعثة بالترحاب ويسرت لها مهمتها حتى بلغت النيل الأبيض اذ كان هناك علاقات صداقة بين أباطرة الرومان وملوك بلاد النوبة التي ذكر التقرير أنها في حالة انهيار شديد وأنها فقيرة السكان مليئة بغرائب المخلوقات ، ولقد تعددت الآراء حول الغرض من ايفاد بعثة الى النوبة ، فقال بعضهم أن نيرون كان يهدف الى نصر رخيص . وقال آخرون انه أرسل هذه البعثة تنفيذا لرغبة سينيكا وبليني لجمع المعلومات الجغرافية والنباتية والحيوانية ، وقال فريق ثالث انها كانت تمهيدا لحملة رومانية للاستيلاء على النوبة ، لكن أفضل الآراء هو الرأي القائل بان البعثة استعراض قصد به انذار مملكة اكسوم التي كانت تهدف الى احتلال سواحل النوبة المطلة على البحر مما يهدد مصالح الامبراطورية التجارية خاصة أن ميناء عدول كان مركز تجارة العاج ، كذلك قصد بالحملة

تأييد معنوي لملوك النوبة الأصدقاء ، ولقد وردت الاشارة الى أطماع اكسوم الحبشية لأول مرة في دليل الملاحة عندما ذكر مؤسسها المجهول الاسم أقام قبل عام ٦٠ ميلادية نصبا تذكاريا عند ميناء عدول تخليدا لذكرى انتصاراته وروى فيه كيف أنه بسط سلطانه شمالا من الحبشة حتى حدود مصر الجنوبية ، وجنوبا حتى ساحل الصومال ، بل ادعى أنه عبر البحر الأحمر واحتل الساحل الجنوبي الغربي لبلاد السبئيين ووصل الى ميناء ليوكي كومي (٩٦) ، ولاشك أن الملك الأكسومي بالغ وهول من حجم انتصاراته لكنها أثارت قلق الرومان الذين توجسوا خيفة أن يكون هدف ذلك الملك البعيد هو غزو بلاد سبأ والتحكم في تجارة البحر الأحمر مما دعى الرومان الى اتخاذ خطوات ايجابية ، اذا فبعثة نيرون الى النوبة كانت تصرفا منطقيا لاهتمام الرومان المتزايد بالتجارة في البحر الأحمر وحماية السلام الروماني فيه من خطر الدويلات المحلية المطلة على شواطئه ، ووقف أي تغيير في موازين القوى حتى لا يحدث أي خلل في الميزان العسكري • وأود أن أضيف الى ذلك الرأي رأيا آخر هو أن نيرون أرسل هذه البعثة للبحث عن مناجم الذهب لأنه كان أكثر الأباطرة قلقا على استمرار نزيف الذهب الروماني الى الشرق ، وهذا التفسير يتفق وتفهم الغرض من حملة مماثلة فيما بعد وهي حملة تراجان على داكيا •

من المعروف أنه منذ وصول روما الى البحر الأحمر ، كانت السفن التي تقلع الى الهند تسير بحذاء الساحل بعد خروجها من باب المندب ، ومن ثم فقد كسبت بعض موانيء شبه الجزيرة العربية مثل أوكيليس Ocelis وموزا Moza وعدن أهمية تجارية كبيرة كمركز للتبادل التجاري ، وهذا جعل التجارة الشرقية في أيدي العرب وهو أمر أقلق الامبراطورية بالرغم من أن العرب كانوا مسالمين وأصدقاء للرومان (٩٧) غير أن تطورا هاما حدث أثناء حياة بليني وهو اكتشاف الرياح الموسمية بواسطة أحد البحارة السكندريين واسمه هيالوس الذي استطاع أن يرصد توقيت هبوبها على البحر الأحمر والمحيط الهندي اذ لاحظ أن من مايو حتى أكتوبر تهب الرياح من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي ، ومن نوفمبر الى مارس تهب عكس ذلك الاتجاه ثم استخدم ذلك في رحلة قام بها الى سواحل الهند ونجح فكان ذلك نقطة تحول بالنسبة لأحداث البحر الأحمر ، اذ أصبح بامكان البحار أن يقلع مباشرة الى الهند دون أن يتوقف عدة مرات عند الموانيء العربية ويدفع المكوس مما يزيد من تكاليف السلع كما أن

الامبراطورية لم تعد تخاف وتترصد الجنوب العربي لأن ذلك الاكتشاف ألغى الكثير من أهمية هذه الموانيء كمحطات وصول واقلاع ، كما أدى هذا الاكتشاف الى سرعة الاتصال بالهند اذ أصبح بامكان السفينة أن تقلع مثلا من مصر في شهر يوليو وأن تصل الى موانيء الهند في أواخر شهر سبتمبر ، وبعد أن تنتهي من التفريغ والشحن تقلع عائدة مستخدمة هبوب الرياح الشرقية فتصل الى أوكيليس أو عدن ثم الى ميناء ميوس هورموس ، أو تستمر شمالا الى خليج السويس ثم تمر بقناة سيزوستريس ان النيل ، وعلى أي حال كانت العودة في شهر فبراير . لقد كسر هذا الاكتشاف احتكار العرب للتجارة وأصبحت روما تتاجر مباشرة مع الهند بلا وساطة ، كما أن سرعة الرحلة وعدم التوقف عند الموانيء العربية ودفع المكوس لها خفف من تكاليف السلع الشرقية فانخفض سعرها مما أدى الى كثرة الطلب عليها (٩٨) وبالتالي زاد الاستهلاك وزاد نزيف الذهب الروماني الى الشرق .

هكذا حقق هيبالوس ـ كولومبوس القرن الأول ق.م ـ شهرة عالمية وتاريخية وأطلق اسمه على الرياح الجنوبية الغربية ، وعلى رأس عند الساحل الافريقي وعلى جزء من بحر العرب بالقرب من الخليج الفارسي (٩٩) .

وقد لاحظ المختصون بدراسة العملة الرومانية وامكان انتشارها وجود النقود الرومانية التي ترجع حتى عصر نيرون في جنوب الهند حيث يكثر اللؤلؤ والحرير والعطور والأحجار الكريمة ، ولكن بعد عصر نيرون تقل هذه العملة من جنوب الهند وتظهر في شمالها حيث مناطق انتاج القطن والجوت مما يدل على أن اجراءات نيرون الحازمة للحد من السلع الاستهلاكية الكمالية قد نجحت الى حد ما والتي اكملها من بعده فسباسيانوس (١٠٠) .

كان فسباسيانوس (٦٩ ـ ٧٩م) يعرف الشرق الأوسط جيدا ، كما كان مدركا لمشاكله ، فقد شغل منصب القائد الأعلى للقوات الرومانية التي سحقت ثورة اليهود ولهذا وضع حلولا سريعة لمشاكله مثل توسع البارثين ومنع وصولهم الى سواحل البحرين الأحمر والأبيض ، كما قام بتامين جنوب سوريا كجزء من تأمين البحر الأحمر فجنوب الأردن يشكل في تكوينه سهلا منخفضا يؤدي الى سواحل البحر الأحمر سواء الى ميناء ايلانا على العقبة أو الى طريق القوافل الذي يربط بين البطراء وميناء لوكي كومي .

أما بخصوص قضية النزف الدائم لاحتياط الذهب والمتجه الى دول

الشرق مقابل الكماليات فيبدو أن فسباسيانوس أكمل ما بدأه تيبريوس ونيرون في الحد من ارتداء الحرير والأحجار الكريمة ، وقد سبق أن أشرنا الى أن النقود الرومانية بعد عصر نيرون تقل في جنوب الهند بينما تظهر في شمالها حيث منطقة انتاج القطن والجوت ، ولكن بالرغم من ذلك لم يتوقف استيراد التوابل بل زاد سوقها في روما حتى أن دوميتيانوس اضطر الى بناء حي خاص بسوق التوابل Horrea piperataria (١٠١) .

كان تراجانوس من أكثر الأباطرة اهتماما بالتجارة مع الشرق ، اذ قام باعادة حفر القناة التي تصل بين النيل والبحر الأحمر من كلوسون Clysmon عند خليج السويس عرفت باسم قناة تراجانوس ، وكان اتساعها يقدر بـ ١٥٠ قدما وقادرة على استقبال أكبر السفن التجارية في ذلك الوقت كما كانت هذه القناة ترتبط بمنف عن طريق قناة صغيرة وبذلك ربطت مصر داخليا وخارجيا بالبحر الأحمر (١٠٢) .

واحكاما لقبضة الامبراطورية على البحر الأحمر أنهى تراجانوس فكرة وجود دولة مستقلة حتى ولو كانت عميلة ـ للأنباط ، وضم بلادهم كلها الى الامبراطورية عام ١٠٦ ميلادية وسماها ولاية بلاد العرب Provincia Arabia وتلى ذلك مشروعه باقامة شبكة من الطرق المعبدة التي تبدأ من شرق الأردن لربط المراكز التجارية الهامة وينتهي عند البحر االأحمر كما أقام نقاطا للحراسة (١٠٣) على طوله ، كما وضع أسطولا حربيا في البحر الأحمر لمطاردة القراصنة ، والقضاء على أية ظاهرة تمرد يقوم بها العرب الساخطون على مشاركة الرومان لهم في التجارة التي جنوا ثمارها منذ عصور ضاربة في القدم كوسطاء لها بين الشرق والغرب . ولما كان هؤلاء القراصنة يمثلون تهديدا للسلام الروماني في البحر الأحمر ولحركة السفن التجارية فقد جعل الامبراطور تراجانوس أسطول الامبراطورية في خدمة هذه السفن تماما مثلما فعل البطالمة من قبل (١٠٤) وبضم مملكة الأنباط الى الامبراطورية تضاءل شأن البطراء العاصمة التجارية القديمة ، وانتقلت الأهمية الى مدن أخرى مثل بوصري Bostra التي ازدهرت وأصبحت العاصمة لدرجة أنها سمت نفسها مدينة بوصري الجديدة التراجانية Nova Bostra Triaina كما ازدهرت مدن اخرى على حساب البطراء مثل فيلادلفيا (عمان) وكاناثا . كما اقام وكلاء الامبراطورية في عهد تراجانوس طريقا جديدا يبدأ من حدود سوريا الجنوبية الى البحر

الأحمر ، وقد عثر على نقش هناك يتحدث عن بوابة أقامها أحد الأثرياء هناك مساهمة منه لرخاء الامبراطورية (١٠٥) ، وقد استقبل هذا الطريق كل أنواع التجارة التي تدفقت على دمشق ومدن الشمال من ميناء ايلانا النبطي وميناء ليوكي كومي على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، ولقد ساد احساس بالأمن لدى التجار نتيجة لغزوات تراجانوس وحملته الناجحة ضد البارثين واستيلائه على عاصمتهم طيسفون (المدائن) عام ١١٥م لأن هذه الدولة كانت الخطر الذي يهدد السلام والوجود الروماني في الشرق الأوسط والبحر الأحمر · كما حرص على ربط البحر الأحمر بالخليج الفارسي ، وكان يتمنى أن يستولى على الهند لربط بين المحيط الهندي والخليج (١٠٦) ·

غير أن النزيف الدائم للذهب الروماني المتجه الى الشرق لم يتوقف ولم تأت محاولات نيرون بالهدف المرجو منها ، ولهذا نجد تراجانوس يتجه في غزواته الى منطقة داكيا الشهيرة بمناجم الذهب في عام ١٠٦م واستطاع أن يستولى على خزائن الملك هناك والتي قيل انها كانت تحوي ذهبا بما يساوي خمسة ملايين رطل روماني وزنا وضعف هذا الوزن من الفضة (١٠٧) ، ونتيجة لتدفق الذهب الجديد هبط سعر الذهب في الأسواق الرومانية بنسبة ٣٪ (١٠٨) ، بينما ارتفع سعر الفضة مما اضطر الامبراطور الى زيادة نسبة الخلط في الدينار الفضي الروماني باضافة القصدير والنحاس بنسبة معينة ليعيد التوازن بين النقود الذهبية والفضية (١٠٩) كما قام بجمع العملات القديمة التي سكها نيرون وهي ذات وزن ثقيل ومعدن صاف وسك منها عملته بل أن زاد نسبة القصدير في الفضة ، ولكن لا يعطي فرصة لاختزان العملات القديمة (١١٠) · لقد كانت سياسة تراجانوس النقدية جزءا لا يتجزأ من سياسة التوسع التجاري في البحر الأحمر لأن أغسطس وضع بداية هذه الاستراتيجية وهي أن يقوم الأورايوس الذهبي والدينار الفضي بدورهما في نشر النفوذ الروماني في البلدان الواقعة على جانبي البحر ويغزو أسواقها لأن تداول العملة الرومانية وعليها صورة الامبراطور وشعار الامبراطورية يحقق انتصارا معنويا على شعوب البحر الأحمر يفوق النفوذ السياسي المباشر · ولقد نجح تراجانوس في ذلك وعاد الوضع طبيعيا في ميزان المدفوعات (١١١) ، وقلل الاستهلاك من الكماليات الشرقية ، وكان نفوذ روما في الشرق قد أصبح قويا حتى الهند (١١٢) اذ أرسل الملك الهندي كوشان وفدا رسميا لأول مرة لتهنئة تراجانوس بمناسبة جلوسه على العرش عام ٩٩م ·

وبعد تراجانوس قام خليفته هادريانوس بالكثير من الأعمال من أجل

دعم الطرق الخاصة بالبحر الأحمر ، ففي مصر قام ببناء طريق جديد في الصحراء الشرقية يبدأ من مدينته التي شيدها في مصر على الجانب الشرقي للنيل وهي أنطونيوليس (الشيخ عبادة بالقرب من ملوي محافظة المنيا) وينتهي عند ميناء مصر الأول على البحر الأحمر وهو ميوس هورموس ، وعرف هذا الطريق باسم طريق هادريان Hadriana وزوده بمحطات التموين والمياه وأقام فيه نقاطا للحراسة (١١٣) ، وطريق هادريانوس الجديد يمر بمنطقة منبسطة آمنة وأجود بكثير من الطرق القديمة (١١٤) ، وكان هدفه بالطبع تحسين الاتصال بين البحر الأحمر والنيل عن طريق تقصير المسافة بقدر الامكان لخفض تكاليف السلع ، وفي نفس الوقت يعطي لمدينته الجديدة شريانا اقتصاديا حيويا للدخل والتجارة . لتزدهر وتنافس مدينة قفط حيث أعفى سكانها من ضرائب المكوس على التجارة . ولقد وصلت تجارة الامبراطورية الى قمة نشاطها في عصر هادريانوس وانطونينوس بيوس . وفي عهد ماركوس أوبليوس وضع لأول مرة تعريفة جمركية للمكوس (Portoria) التي تجمع بين مواني البحر الأحمر عرفت احيانا باسم « تعريفة المكوس السكندرية » وقد تضمنت هذه التعريفة جميع أنواع التوابل والسلع الشرقية وقيمة الضرائب المفروضة على كل منها وهي عادة ٢٥٪ ، ولوحظ أن الفلفل الأسود أعفي من الجمارك وكذلك الكندر لأن استخدامهما أصبح أساسيا سواء في الطهي أو الأغراض الدينية ، وبالتالي لم يعتبرا من الكماليات (١١٥) ، ولكن الذي يهمنا هو أن وضع الامبراطورية لتعريفة جمارك لموانيء البحر الأحمر يدل على السيطرة الكاملة وعلى الدخل الوفير التي كانت تجنيه منه . ومن الطريف أن جستنيانوس استعان بهذه اللائحة عندما وضع لوائح مشابهة .

غير أنه بمقدم القرن الثالث بدأت الأحوال تتغير نتيجة لحدوث تغيرات طرأت على الامبراطورية من ناحية ، وعلى دويلات البحر الأحمر من ناحية أخرى ونتج عن ذلك تدهور ملحوظ في حجم التجارة عبر البحر الأحمر . والذي يدل عليه انخفاض كمية النقود الرومانية التي يعثر عليها في الهند والتي ترجع الى مابعد القرن الثاني الميلادي (١١٦) ويلاحظ أن العملة الرومانية في البحر الأحمر فقدت الكثير من مهابتها وقيمتها النقدية في القرن الثالث الميلادي الذي يمثل بداية الأزمات الاقتصادية بسبب الحروب الخارجية والأهلية وارتفاع الضرائب وقلة الانتاج مما أدى الى ارتفاع الأسعار ووجود الاختناق الاقتصادي في بعض السلع مما خلق السوق السوداء أو مجتمع الأزمات السلعية ، ونتيجة لذلك اضطر الامبراطور أوريليانوس في عام ٢٧٤م الى جمع العملات القديمة التي ترجع الى عهود

نيرون تراجانوس وصهرها واعادة سكها في عملة جديدة أما ديوقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) فقد اضطر الى اصلاح الاقتصاد الروماني لاعادة الثقة في العملة الرومانية فيما وراء البحار ، فقام باعادة تثبيت الأورايوس الذهبي Auraeus لاعادة الثقة في قيمته المنهارة وذلك في عام ٢٩٤م ، اذ جعل وزنه ثابتا وبنسبة $\frac{١}{٧٢}$ من الرطل الروماني ، وتلى ذلك قيامه باصلاحات مالية جذرية ، وقد دعم هذا الاصلاح باصداره قائمة تحديد الأسعار والخدمات في عام ٣٠١م · ومن المؤكد أن اصلاحات ديوقلديانوس بتوكيدها على الأورايوس الذهبي عملة الشرق المفضلة (مثل الماريا ترايزا في العصر الحديث) أعاد الثقة المالية والاقتصادية في الدينار الروماني وايقظه من خموله في الأسواق الشرقية ·

لا يمكن فصل التجارة عن السياسة فكلاهما مرتبط ومتأثر بالآخر ، والدينار القوي سفير قوي للدولة التي يمثلها ، ولقد ذكر بليني أن القادة الرومان في حملاتهم العسكرية كانوا يفكرون بعقلية التجارة ، كما أن المعسكرات الرومانية كانت تتحول الى أسواق Canabae وبعضها تحول بالفعل الى مدن (١١٧) فيما بعد ·

غير أن القرن الثالث والرابع الميلاديين شهدا أحداثا وتطورات سياسية هامة كانت بداية نهاية السلام الأوغسطي في البحر الأحمر ، اذ بدأ الضعف السياسي والاقتصادي يهاجم الامبراطورية من الداخل ففقدت القوة الدافعة مما أدى الى ضعفها خارج ايطاليا ، وفي البحر الأحمر تزايد خطر ونمو دولة اكسوم التي سمعنا عنها منذ أيام نيرون ، واستطاعت في القرن الثالث أن تستولى على الدولة الكوشية في الشمال والصديقة للرومان وبدأت تدخل عالم تجارة البحر الأحمر بفضل مينائها عدول ، بل تطلعت الى الاستيلاء على اليمن لاحكام القبضة على البحر الأحمر · وفي الشرق الأوسط برزت الدولة الساسانية في فارس والتي أحيت القومية والنفوذ الفارسي الذي ضاع منذ أن فتح الاسكندر بلاد الفرس في الثلث الأخير من القرن الرابع ق·م · وطالبت هذه الأسرة بحق الامبراطورية الفارسية في الشرق الأوسط كله ·

وفي اليمن حدثت تطورات سياسية هامة في القرنين الثالث والرابع الميلاديين فمن المعروف أن الدولة الحميرية التي نهضت في القرن الأول على أنقاض حكم قبيلة الأوسان نجحت في نهاية القرن الأول في بسط نفوذها على سبأ وفي اقامة حكم جديد قاعدته ظفار جنوب صنعاء الحالية ، كما نجحت

في فرض نفوذها على الساحل الجنوبي والجنوبي الغربي لشبه جزيرة العرب بعد أن أسقطت السيادة الحضرموتية على الساحل الجنوبي وخلال هذه الفترة توحد الجنوب العربي كله تحت قيادة واحدة ودولة واحدة ، وشهد خلالها اليمن المتحد أسعد أيامه وأكثرها رخاء · حيث أصبح « التبع » ملكا على سبأ وحضرموت ويمنات وتهامة غير أنه من الملاحظ أن اليهودية بدأت تنتشر في جنوب الجزيرة منذ تدمير هاديانوس لأورشليم عام ١٣٧م وهجرة عدد كبير من اليهود الى اليمن وبدأت حركة تبشيرية يهودية في جنوب الجزيرة ، ولاشك أن تزايد النفوذ اليهودي في اليمن وفي الجنوب بكل مايحمله اليهود من ذكرى مريرة لتدمير الرومان لأورشليم خلق نوعا من العداء والحقد ازاء الوجود الروماني ، وهذا العداء أحيا حقد اليمنيين القديم ازاء الرومان ، ولهذا بدأ الاتجاه العام في اليمن يتعاطف مع الدولة الساسانية الفارسية ويمهد لها لطرد الرومان من منطقة البحر الأحمر ·

كانت الامبراطورية الرومانية في ذلك الوقت قد انقسمت الى شطرين وورث الشطر الشرقي الذي كان عاصمته القسطنطينية والذي نعرفه بالدولة البيزنطية نفوذ روما في البحر الأحمر ، ولذا سارعت الامبراطورية البيزنطية التي كانت تعتبر نفسها حامية للمسيحية بالتنبيه لخطر التبشير اليهودي في الجنوب فسارعت بارسال بعثات تبشيرية مسيحية الى اليمن ونجحت في نشر المسيحية في نجران ابان القرن الخامس ، وقد فزع ملوك حمير من تغلغل المسيحية في ديارهم خوفا من تحولها الى البيزنطيين فناهضوها بشدة · أما في الحبشة فقد ثبتت المسيحية أقدامها وقامت علاقات قوية بين بيزنطة والحبشة وتعاون الأحباش مع الامبراطورية البيزنطية وأصبحوا هم المسؤولين عن نقل التجارة نيابة عن بيزنطة التي وقفت من ورائهم وشجعتهم على مقاومة اليهودية في اليمن وطرد النفوذ الفارسي حيث كان الفرس يساندون العرب الجنوبيين ويوكلون اليهم نقل التجارة بين الخليج الفارسي والبحر الأحمر ، ومن ثم بدأ الأحباش يهددون الجنوب العربي كله ويتطلعون الى احتلاله ، أي أن العداء بين الفرس والرومان اتخذ شكل الصراع الديني بين اليهودية والمسيحية على أرض اليمن (١١٨) بلغ اشده خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، ولا نلبث أن نرى ذا نواس آخر الملوك الحميريين يعتنق اليهودية ويحاول القضاء على المسيحيين في نجران عندئذ أوعزت بيزنطة الى النجاشي ملك الحبشة أن يغزو اليمن فغزاها سنة خمسماية وخمس وعشرين ميلادية ، واستولى عليها وضمها الى بلاده وظل هذا الاحتلال الحبشي قائما نحو خمسين عاما ثارت خلالها اليمن ثورات عنيفة .

غير أن الفرس لم يسكتوا على هذه الخطوة من جانب الحبشة وحليفتهم بيزنطة ولما استنجد أهل اليمن بالفرس سارعت الامبراطورية الفارسية بالتدخل وارسلت جيوشها فاستولت على اليمن عام ٥٧٠م وطردوا الأحباش والبيزنطيين · وبذلك أصبح البحر الأحمر ميدان صراع بين قوتين : الفرس ويسيطرون على الساحل الشرقي والبيزنطيين ويسيطرون على الساحل الغربي ، وظل الفرس في اليمن حتى سنة ثمان وعشرين وستماية ميلادية عندما أعتنق باذان عاملهم في اليمن الاسلام دينا وبذلك أسدل الستار على صراع القوتين الفارسية والبيزنطية على البحر الأحمر وبدأت السيادة الاسلامية تظهر في الأفق ·

هكذا ننهي البحث بنفس العبارة التي بدأناها به وهي ليس هناك أعداء دائمين ولا أصدقاء دائمين ولكن هناك مصالح دائمة ·

د· سيد احمد علي الناصري
قسم التاريخ ـ كلية الآداب
جامعة القاهرة

الهــوامش

١ _ Apicius, De Arte Conquinaria : J. I. Miller, The Spice Trade of The Roman Empire 29 B.C to A.D. 641 Oxford The Clarendon Press, 1969, P. 10 note 2.

٢ – يروي أن آيليوس خليفة هادريانوس كان يحمله معه في أي مكان حتى سرير النوم ، كما أن الامبراطور اليجابالوس قدر هذا العمل تقديرا خاصا :
Scriptores. Historiae Augustae, Aelian, V. 9; Elagabalus XVIII, 4. ; Miller, op. cit P. 10.

٣ _ M. Cary & E. H. Warmington, The Ancient Explorers, (Regised edition published in Pelican Books), 1964. P. 94 F.

٤ _ Miller, Op. cit, P. 190.

٥ _ M. P. charlesworth, Trade-Routes and Commerce of The Roman Empire, George Olms, Verlagsbuchnadlung, Hildesheim, 1961, P. 224.

٦ _ Seneca, ad Paul. 2.

٧ _ pliny Historis Naturalis, XIV. 2.

٨ _ Suetonius, Divus Avgustus, 98, 3.
انظر : سيد احمد الناصري ـ تاريخ الامبراطورية السياسي والحضاري ـ الطبعة الثانية ١٩٧٨ ، ص ١١٩ ٠

٩ _ Charlesworth, Op. cit, P. 227.

١٠ _ M. Cary & E. Warmington, Op. cit, P. 74 F.

١١ _ Alan B. LLoyd, "Necho and the Red Sea : Some Considerations", Journal of Egyptian Archaeology, vol 63 (1977) PP. 142-155.

١٢ _ Posener, "Le Canal du Nil a'la Mer rouge avant les Ptolemees, Chrniqne d' Egypte XIII (1938), P.

١٣ _ Diodorus Siculus, E. 33. Strabo 17, I., 25 (C804), 16. 4. 23 (C780), Pliny, Historia Naturalis, VI, 165FF.
ابراهيم نصحي ـ مصر في عصر البطالمة ٠

١٤ ـ عبد اللطيف احمد علي ـ مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ، ١٩٧٢ ، ص ٤٥ جـ ٤٦ ٠

١٥ _ Diossofides, 11, 160, Charlesworth, op. cit, P. 66.

عن أسماء هذه المنتجات والسلع كما ذكرت في الوثائق العربية ، انظر : دكتور محمد يوسف « علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور الى القرن الرابع الهجري » مجلة كلية الآداب ـ مجلد ١٥ جزء أول ١٩٥٣ ، ص ٢٧ ـ ٣٥ •

١٦ _ G. W. Murry " Roman Roads and Stations in the Eastern Desert of Egypt", Journal of Egyptian Archaeology, Pl. 11. P. 139.

١٧ _ D. Meredith, "Roman Remains in the Eastrn Desert", Journal of Egyptian Archaeology, vol 38 (1952), P. 101, and J.E.A., vol 39 (1953) P.95., charlesworth, Op. cit, P. 61 FF.

١٨ _ Strabo XVIII, 1, 26.

١٩ _ Pliny, Ibid, VI, 165.

٢٠ _ Meredith, J.E.A., vol 38. (1952) P. 98 FF.

٢١ _ Meredith. 10c cit P. 106 - 108.

٢٢ _ Strabo XVI, 4, 23 (780)

٢٣ _ L. Casson, Ship and Seamanship in the Ancient world (Princeton 1971) P. 97; Diodorus Siculus I, 55.

٢٤ _ of. Pliny Historia Vaturalis, VI, 173; Miller op. cit P. 168 note 2.

٢٥ _ of. Periplus 4.

٢٦ _ CharlesWorth , P. 64.

٢٧ _ Periplus 13; Miller Op. cit P. cit P. 185, 199.

٢٨ _ Charlesworth Op. cit P. 65.

٢٩ ـ د• احمد فخري : اليمن ماضيها وحاضرها ـ المعهد العالي للدراسات العربية جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٧٠ •

٣٠ _ Charlesworth, Ibid, R. 65 - 66.

٣١ _ Miller Op. cit, P. 147.

٣٢ _ Philip. K. Hitti, History of The Arabs, Fifth edition revised, London Macmillan 1951, P. 67F.

٣٣ _ Charlesworth, P. 54.

٣٤ _ Miller, Op. cit P. 134 F.

٣٥ _ Diodorus Siculus I, 55. Casson, Op. cit, P. 97.

٣٦ _ Athenaeus, 5, 203C, Alon 11oyd, J.E.A., Loc. cit, P. 154.

٣٧ _ W. W. Tarn, "Ptolemy II and Arabia, J.E.A, Vol. XV (1929) PP9 - 25 (P.17), also of his, Ptolemy Philadelphus. J.E.A, XIV (1928) P. 251.

٣٨ _ Strabo XVI, Chapter 414.

٣٩ ـ والكلمة تعني الكروم ربما اشارة الى ديونيسيوس الجد الاســـطوري للبطالة
Tarn, J.E.A, Vol. XV, P. 21. Hitti, Op. cit, P. 72.

أو ربما اشارة الى ذي الشعرى رب
الصحاري عند العرب والذي ارتبطت عبادته بالكروم والخير

٤٠ ـ مثلا لوحظ أن أربعة أو خمسة من ملوك اللحيانيين حملوا لقب طولماي الذي هو الصيغة العربية لاسم بطليموس ·
Tarn. Loc. cit P. 120F. Pierre Grimal and Others, Hellenism and the Rise of Rome. Weidenfeld and Niodnon 1968, P. 291.

٤١ ـ انظر : علي عبد الله الخاتم ، أثيوبيا والاثيوبيون : بين المصادر الاغريقية الرومانية والادلة لاثرية » : رسالة ماجستير (غير منشورة) أداب القـــاهرة ١٩٧٦ : ص ٩٢ ـ ٩٤ ·

٤٢ ـ Cf Hitti, Op. cit, P. 68.

٤٣ ـ Ibid, P. 68.

٤٤ ـ W.W. Tarn, Loc. cit, P. 25.

٤٥ ـ Josephus, Jewih wars, Book III, 4, 2; Book I, 14.

٤٦ ـ Hitti, Op. cit, P. 73.

٤٧ ـ جاء في دليل الملاحة Periplus, 19 وعند استرابون XVI, 4,21,24 وبليني
Historia Naturalis, XII, 63,5

ولكن هناك جدل حول تفسير ماورد في دليل الملاحة فقرة ١٩ ، اذ يرى دارمنجتون ويشاركه في ذلك آخرون أن قائد المائة والحامية الموجودة في البطراء كانت رومانية
E. Warmington, The Commerce between the Roman Empire and India, (Cambridge 1928) PP. 16 and 309 (with notes),

بينما يرى شوف في تعليقه على الفقرة أن النص لا يثبت أن قائد المائة والحامية كانوا رومانا
Millar, Op. cit, P. 225 nots 1.

٤٨ ـ Charlesworth, Op. cit P. 66, P. 227.

٤٩ ـ Strabo XV. 1. 22.

٥٠ ـ عبد اللطيف احمد علي ـ المرجع السابق ، ص ١٣٥ ·

٥١ ـ Pierre Grimal, Op. cit, P. 293.

٥٢ ـ Periplus 21, 24., Philip Hitti, Op. cit, P. 49,
Schoff, Periplus, (New York) P. 24.

٥٣ ـ Pliny, Historia Naturalis, XII, 62.

٥٤ ـ Strabo XVI, 4, 19.

٥٥ ـ Charlesworth, Op. cit, P. 67.

٥٦ ـ وكان اسمها بالسنسكريتية » دريبا سخودارا » اي الجزيرة المقدسة
Pliny, Ibid XII, 64.

٥٧ ـ W. Philips, Qataban and Sheba (1955) P. 24, 27.

٥٨ ـ Miller, P. 16.

٥٩ ـ احمد فخري ـ اليمن ماضيها وحاضرها ، ص ٦٩ . Slrabo XVI, 4,27.

٦٠ ـ عبد اللطيف احمد علي ـ المرجع السابق ، ص ٦٣ .

٦١ ـ Cary and Warmington, Op. cit P. 192 - 193.

٦٢ ـ Strabo, XVI, 4, 23.

٦٣ ـ Hitti, Op. cit, P. 56 ff.

عن تفاصيل الرحلة انظر : عبد اللطيف احمد علي المرجع السابق ، ص ٦٤ ـ ٦٦ . وكذلك انظر : ديتلف نيلسون ، فرتز هومل ، رود كاناكيس وأدولف جرمان : التاريخ العربي القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ومراجعة الدكتور محمد زكي حسن ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٠٠ وما بعدها .

٦٤ ـ Periplus, 24, 26.

٦٥ ـ Millar, Op. cit, P. 14 (With Notes).

٦٦ ـ عبد اللطيف احمد علي ـ المرجع السابق ـ ص ١٢٤ .

٦٧ ـ Millor, Op. cit, P. 15, note 1.

٦٨ ـ Pliny, Historia Naturalis, VI, 31.

٦٩ ـ تدل النقوش أن اغسطس فرض ضريبة قدرها ٢٥٪ على بعض السلع الواردة من الشرق بالاضافة الى مكوس الجمارك Portoria ، ومن اجل ذلك عين قائدا Strategos له سلطات عسكرية وادارية لتحصيل مكوس البحر الأحمر وكان هذا القائد يشرف على جميع المكوس الجمركية في موانيء البحر الأحمر انظر C. I. G. 5675 نقش من عصر اغسطس كتبه جامع المكوس ابولونيوس ومساعده ادينليوس وهو عبارة عن صلاة شكر للرب هرمس رب التجار انظر : Warmington Op. cit, PP. 14, 333

٧٠ ـ Charlesworth, Op. cit, P. 237; Millar Op. cit, P. 15.

٧١ ـ D, Meredith, Annius Plocamus : " Two Inscriptions From the Berenike Road " Journal of Roman studies, XLIII, 1953, P. 38 ff.

٧٢ ـ Schoff, Op. cit, pp. 290 - 239.

٧٣ ـ Millar, Op. cit, P. 16. Note 2.

٧٤ ـ Schoff, P. 67; Millar, Op. cit, P. 16F.

٧٥ ـ Millar, Ibid, P. 18.

٧٦ ـ C. Muller, Geographici Graeci Minores (1855 - 61) vol, 1., Prolegomena, XCVIII.

٧٧ ـ Millar, Op. cit, P. 19 - 20.

٧٨ ـ Charlesworth, Op. cit, P. 63; Millar, P. 20.

٧٩ ـ Periplus I. and 35.

٨٠ ـ PeriPlus IV, 21 and 25.

٨١ ـ Periplus 52.

٨٢ ـ Tacitus, Annoles, 11, 33; III, 53; also of Cassius Dio, LVII, 5; also. of J. Carcopino, La vie quotidienne a Rome a L'apogee de L' empire (1947), P. 200; English translation by E. O. Lorimer, P. 172.

٨٣ ـ Millar, Op. cit, P. 222; charles worth, P. 50;

٨٤ ـ Warmington & Cary, P. 44 F.
Charlesworth, P. 21;

٨٥ ـ Warmington Cary, P. 193=Dio cassius LXVIII, 14; LXXXV, 1,2; Eutropius VIII, 18; Pliny VI, 140; V,77,80

٨٦ ـ Ptolemy, VI, 7; 1-47.; Warmington & Cary P. 194.

٨٧ ـ Charlesworth, P. 34.

٨٨ ـ Pliny Historia Naturalis, XII, 84.=Millar, Op. cit, P. 14-20.

٨٩ ـ Millar, Op cit, P. 218.

٩٠ ـ Pliny, Historia Naturalis, XII, 84.

٩١ ـ Pliny, Historia Noturalis, XII, 93.

٩٢ ـ Chorleswarth, P. 33.

٩٣ ـ عبد اللطيف احمد علي ـ المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

٩٤ ـ عبد اللطيف احمد علي ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

٩٥ ـ Charlesworth, P. 60.

٩٦ ـ من الأمثلة على ذلك أن سعر قارورة عطر الناردين انخفض سعرها من ٣٠٠ دينار روماني في أول القرن الأول كما جاء في الانجيل (مرقص اصحاح ١٤ آية ٣ ، انجيل يوحنا اصحاح ١٢ آية ٣) الى ١٠٠ دينار فقط في عصر بليني في أواخر نفس القرن .

٩٧ ـ Wamington and Cary, Op. cit PP. 95 - 96.

٩٨ ـ Charlesworth, Op. cit, P. 61.

٩٩ ـ Millar, P. 83; P. 25; Charleswrth, P. 223.

١٠٠ ـ سيد احمد الناصري : تاريخ الامبراطورية الرومانية السـياسي والاجتماعي الطبعة الثانية ١٩٧٨ ، ص ٢٤٤ .

١٠١ ـ Charlesworth, P. 14, 43.

١٠٢ ـ Ibid P. 43.

١٠٣ ـ Charleswonth, Ibid, P. 231.

١٠٤ ـ الناصري : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

١٠٥ ـ Oxford Classical Dictionory sub Trajan.

١٠٦ ـ C. H. C. Sutherland, Jold; Its beauty, Power and allure London (1959) P. 98.

Millar, Op. cit, P. 219 - 220. _ ١٠٧
CF. Dio Cassius, LXVIII, 15. _ ١٠٨
Millar, Op. cit, P. 230. _ ١٠٩
Charlesworth. P. 61. _ ١١٠
Meredith, J.E.A, vol 38 (1952), P. 101. _ ١١١
Charlesworth, Ibid P. 22, P. 62. _ ١١٢
Millar, Op. cit P. 25. _ ١١٣
Charlesworth, P. 61., P. 70. _ ١١٤
Ibid P. 232 - 4. _ ١١٥
Philip. K. Hitti. Op. cit, P. 60 F. _ ١١٦